

مشعل عبد العزيز الفلاحي

مشروع العمر

منتدى اقرأ الثقافي
www.igra-ahlamontada.com



دار القلم
دمشق

لتحميل أنواع الكتب راجع: (مُنْتَدَى إِقْرَأَ الثَّقَافِي)

پراي دانلود کتابهای مختلف مراجعه: (منتدی اقرا الثقافی)

پۆدابه زانندی جوهرها کتیب: سهردانی: (مُنْتَدَى إِقْرَأَ الثَّقَافِي)

www.iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

ئىلکىتەب (کوردی ، عربى ، فارسى)

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

الدار الشامية - بيروت هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١) ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

www.alkalam-sy.com

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

مشروع العمر

إنَّ الميلادَ الحقيقيَّ للإنسانِ
ليس تلك اللحظة التي يخرج صارخاً إلى الدنيا من
رحم أمه، وأنما يولدُ الإنسان في اللحظة التي يعثرُ
فيها على مشروعه

تأليف

مشعل بن عبد العزيز الفلاحي

دار القلم
دمشق



إضاءة



كتب أحدُ العبَّادِ إلى الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ يَنكِرُ عليه
اشتغاله بالعلم، ويدعوهُ إلى التفرُّغ للعبادة، فكتب إليه
الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ قائلاً:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ الْأَعْمَالَ كَمَا قَسَمَ الْأَرْزَاقَ، فَرَبٌّ
رَجُلٍ فُتِحَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ، وَآخَرُ
فُتِحَ لَهُ فِي الْجِهَادِ. وَنَشَرَ الْعِلْمَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ،
وَقَدْ رَضِيتُ بِمَا فُتِحَ لِي، وَمَا أَظُنُّ مَا أَنَا فِيهِ دُونَ مَا أَنْتَ
فِيهِ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ كَلَانَا عَلَى خَيْرٍ».



المقدمة

الكتابة في مشروع العمر مشروع فَرَضَهُ واقع هذه الأمة اليوم، وحاجتها الكبرى لاستثمار جهود أبنائها نحو تحقيق آمالها الكبار.

وقد ظلت هذه الأمة إلى عهد قريب هي روح الدنيا وقلبها النابض في الأرض، وكانت نتيجة لذلك هي المورد العذب لكل إنسان ومجتمع في الشرق والغرب، وظلت أمم الدنيا تشرب من معينها الصافي كل معالم الحضارة الكبرى التي يعيشها إنسان اليوم.

وكنْتُ أشعر - ولا أزال - أنَّ مشروع الأمة قبل أن يكون مشروعاً جماعياً هو مشروعٌ فرديٌّ ينطلق من شعور الإنسان بأهميته كإنسان جاء خليفة في الأرض؛ ليقوم

بعمارتها من جديد، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكَ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].. فأحببت أولاً أن يكون لي سهم الولد البارّ في أمته.

وقد بلغت منّي هذه الكلمة (مشروع العمر) كلّ مَبْلَغ، فاستلّت قلبي في لحظات كثيرة، ورحلت به إلى حيث يجد أشواقه وأمانيه، وأشهدُ الله تعالى أنني ما سمعتُ بهذه الكلمة، ولا قرأتها في موقع، ولا رأيتها في ساحةٍ معرض، أو لقاء إلا جاءت بي إليها مرغماً مهما كانت ظروفِي التي أعيشها تلك اللحظة، وقد قلتُ في أيام مضتُ ولا أزال أردّد: إذا لم تجدْ أنفاسك في حرف تكتبه، فحريّ بك أن تدعه.

وها أنذا أدفع بروحي إليك أيّها القارئ الكريم ثانية بعد أن دفعتُ بها إليك ولهةً في كتاب (ابداً كتابة حياتك)، والذي يعدُّ كتابُ (مشروع العمر) هو الترجمة العملية لتلك الأمانِي التي بعثتها إليك هناك، وأرجو أن يكون هذا الكتابُ هو الخطوة العمليّة التطبيقية لذلك الأمل، وإن كان هناك بداية الغرس فهنا الماء الذي ينبت ذلك الزرع.

والشكر لله تعالى أولاً وآخرأ على ما منّ به من توفيق،
والشكر موصول للشاعر محمد بلغيث العلوي، ولُغوي
الأديب عطية بن شامي العقيلي، وللشاعر أبي سعود
أحمد بن حسن الصّابطي، ولأبي أحمد الشيخ شايح
محمد الغبيشي على تفضّلهم بمراجعة الكتاب، داعياً الله
تعالى أن يكون لهم من أثره أوفر الحظّ والنّصيب.

واللهُ المسؤُول أن يبارك في ذلك، وأن يمدّ له من
توفيقه ما يكفل له من الحظوظ في قلوب أبناء الأمة.

مشعل بن عبد العزيز الفلاحي

مشرف تربوي

بإدارة التربية والتعليم بمحافظة القنفذة

المملكة العربية السعودية

محافظة القنفذة

وادي حلي - قرية الفلحة

Mashal001@hotmail.com

لحظة البداية



الإنسانُ جاء لعمارة الأرض، وصناعة التاريخ، ليس
إلا، هذه هي المهمة الكبرى التي جاء الإنسان يكتبها في
عالم الأرض، وليس ثمة شيء آخر جاء له الإنسان.

ويكفي في تحديد هذه المهمة الكبرى في الحياة
قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ
فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البقرة: ٢٠]، ومقتضى الخلافة في
الأرض أن يستتفر فيها الإنسان كل ما يملك حتى يكون
خليفة صالحاً، ووريثاً كبيراً، وعامراً عظيماً.

ومن اللحظة التي أهبط فيها آدمُ إلى الأرض إلى
يومنا هذا ظَلَّتْ الدُّنيا حافلةً بالإنسان، بهيئةً به،
مسرورةً بلحظاته؛ لأنه جاء كاتباً للتاريخ، مجدداً له، وما
عدا ذلك هو نشازٌ لا عبرة به، وشذوذٌ لا غاية له.

إِنِّي أَتَحَدَّثُ هُنَا إِلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ نَفْخَةٌ مِنْ رُوحِ
اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كَوْمَةً مِنْ طِينٍ.. ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ،
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].. إِنَّهَا
اللَّحْظَةُ الَّتِي تَصِلُ فِيهَا كِرَامَتُكَ كإِنْسَانٍ أَنْ تَكُونَ عَالِماً
مِنْ رُوحِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ تَكُونَ مَزِيْجاً مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ.

وَأَتَحَدَّثُ إِلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي مَلَكُهُ اللَّهُ تَعَالَى خِلَافَةً
الْأَرْضِ، وَهِيَأَهُ لِنِصْنَاعَةِ تَارِيخِهَا كَيْفَ شَاءَ، وَيَسَّرَ لَهُ كُلَّ
مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ أَجْلِ مَا يَنْتَظِرُ مِنْهُ مِنْ خِلَافَةٍ حَقِيقِيَّةٍ
وَيَتِمَكِّنُ كَبِيرٍ.. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ [الجن: ١٣].

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَعْنَى كَثِيراً فِي حَيَاتِكَ، وَتَسْتَجِدْ سِرُّهُ
عَلَى قَلْبِكَ أَكْبَرَ مِمَّا يُوصَفُ لَكَ.

إِنَّ اللَّحْظَةَ الَّتِي يَقُومُ إِنْسَانٌ فِيهَا مِنْ نَوْمِهِ،
وَيَسْتَيْقِظُ مِنْ رَقَدَتِهِ، وَيَهْبُ فِي الْأَرْضِ طَامِحاً إِلَى
الْمَعَالِي، هِيَ اللَّحْظَةُ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلَ مَا
خَلَقَ هَذَا الْإِنْسَانَ، وَأَرَادَهَا أَوَّلَ مَا احْتَفَلَ بِتَكْرِيمِهِ عَلَى
مِرْأَى وَمَسْمَعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ، وَأَرَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى
لَهُ حِينَ هِيَأَ لَهُ سَبَباً لِلنُّزُولِ إِلَى الْأَرْضِ.

إنَّ العجب يتملكني، والدَّمة تسابقُ عيني، ولحظاتُ
السُّرور والغبطة تحتفُّ بروحي كلّها حين أشعر بهذه
الخلافة الكبرى، وأنفُسُها لحظةً بلحظةٍ في حياتي، ولولا
هذه اللحظاتُ لما وجدَ الإنسانُ لنفسه معنى! وأجدُني
أشعرُ بهتاف هذا التَّكريمِ وهذه اللحظاتِ حتَّى كأنتي
أتوقُّ لعناقِ السماء!..

آهٍ على لحظاتٍ يجدُ فيها الإنسانُ روحه، ومعناه،
ولحظاته الحقيقية، ويسير في كنفِ الدُّنيا وهو يشعر
أنه جاء لصناعة التَّاريخ، وكتابة الأحداث الكبرى على
الأرض.. ولحظاتُ النُّوم والراحة والسكون والدَّعة التي
تهفو إليها النفوس في لحظاتٍ، إنّما هي لحظاتُ زادٍ
وقوةٍ وحياةٍ وروحٍ إنسانٍ، لا لحظاتِ خمولٍ وذبولٍ همّةٍ
ونسيانٍ تاريخ.

أيُّ معنى للإنسان وهو لا يستشعر هذه الروح؟ وأيُّ
حياةٍ له وهو لم يجد بعدُ طعم هذا التَّكريم؟ ولذا فإنَّ
أي لحظة يعيشها الإنسان من حياته وهو لا يستشعر هذه
المعاني لم يدرك بعدُ لماذا جاء إلى هنا؟ وماذا ينتظره
هناك؟..

إنّني أبكي هذه اللحظة التي أكتبُ لك فيها أسطري
هذه.. أبكي أنْ فَقَدَ الإنسانُ معناه كإنسان! أبكي لحظات
أراها تذهبُ في حياةِ إنسان في النُّوم، ولحظاتٍ أراها
تذهبُ في حياةٍ آخر في اللُّهُو، ولحظاتٍ أراها تذهب
لغير غايةٍ، وتموتُ في لحظتها كما يموتُ صاحبها في
لحظته!..

أبكي أن عاد خليفة الأرض لا مشروعَ له في الحياة، ولا
غايةَ له في الدُّنيا، فماذا ينتظر في عرض هذه الحياة؟
آه على لحظاتٍ ذهبتُ في غير مشروعٍ وآه على لحظاتٍ
سقطتُ تحتَ أقدام الهوى، فداسها الإنسانُ وأعلنَ وفاةَ
خلافتها في الأرض.

كم نحن بحاجةٍ إلى أن يسأل كلُّ إنسان منَّا نفسه
هذه الأسئلة: من أنا؟ بماذا أعرف بين الناس؟ ماذا
قدمتُ في تاريخ حياتي؟ أيُّ تاريخٍ كتبتُ؟ وأي لحظاتٍ
عشتُ؟ هل أنا إضافةٌ حيةٌ في هذه الدنيا؟ أم عبءٌ ثَقِيلٌ
على الأرض؟..

ما هو مشروعي الذي عشتُ له حياتي، وأفرغتُ
فيه وقتي، ووجدتُ فيه الحياةَ الكريمةَ التي أنشدها

من عمري؟ أين أنا هذه اللحظة من الأرض؟ وأين أنا
هذه اللحظة من السماء؟ وأين أنا من صفحات التاريخ
ومواقف الكبار؟..

هل لي مشروعٌ في الحياة أعيش فيه لحظات حياتي؟
وأجد فيه وهج الروح ورحلة المعاني الكبار في النفس؟
ما مشروعِي؟ وأين وصل؟ وكم هو أثر هذا المشروع في
نفسي وتاريخ أمتي؟... أسئلة تبعثها نفوس الأحرار في
كل لحظة، ويجهدون أن يجدوا بها أرواحهم في عالم
الأرض.

وفي النهاية سيجدون أنَّ أروع لحظة في حياتهم هي
الخطوة الأولى التي يخطونها في لحظة أمل... وسيعانقون
ذاتَ الأمل الذي خطوا به أوَّل وهلة وهم يرددون:

ونشربُ إنْ وردنا الماءَ صَفْوَاً

ويشربُ غيرُنا كدراً وطنينا

* * *



إنَّ ثمةَ علاقةً كبيرةً ومتينةً بين النَّجاحِ والمشروعِ، وهي ذاتُ العلاقةِ بين النَّاجحينَ والمشاريعِ، فقلَّ أن تجد ناجحاً استطاع أن يرسم اسمه في عقول الناس إلاَّ وتجد له مشروعاً تعلَّقَ به، وتوجَّهَ إليه، وبذلَ له كلَّ ما يملك من وقتٍ وجهدٍ ومالٍ، حتَّى صار له هذا التاريخ الذي يشهد به الآخرون.

تحدث الدكتور عبد الكريم بكار عن هذا المعنى قائلاً: يستطيعُ كثيرٌ من أفراد هذه الأمة أن يتخيَّلَ أن حياته عبارةٌ عن مشروعٍ أنشأته أمةُ الإسلام، واستثمرت فيه، ثمَّ أوكلتهُ إليه لبيديره ويتابعه، ويبذل فيه من ماله ووقته وجهده، وقد قبلَ هذه الوكالةَ، وشرع يحاولُ في جعل ذلك المشروعِ ناجحاً

ومثمراً، بل يحاول أن يجعل منه مشروعاً نموذجياً
بين المشروعات المناظرة. اهـ.

إن ثقافة المشروع تُعطي معنىً لحياة الإنسان للدرجة
التي تسلك به مواقف الكبار، وتضعه في قائمة الناجحين،
وتجعل منه أنموذجاً يشار إليه بالبَنان.. ولا أعلم كبيراً اليوم
يملاً أسماع الناس ذكراً، إلا وهو صاحب مشروع أخذ على
عاتقه بناءه، وعاش له لحظات حياته، وبذل كل ما يملك،
وفي النهاية كان لزاماً على الأمة أن تتوَّج تاريخها بذكره.

إن كل إنسان يمكن أن يقدم عملاً صالحاً، لكن كلما
افتقد هذا العمل روح المشروع ظلَّ جهداً عابراً، وخطوات
متفرقة، ولحظات غير مرتبة، وفي النهاية يجني ثمار دقائق
حياته خيراً، لكن يفوت هذا العمل حين تفوته ثقافة المشروع
وروحه ونضجه وقدرته على الاستمرار والتفوق، فيفوت
صاحبه شيء كبير، إذ يظل في الغالب عرضةً للزوال.

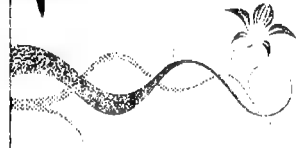
إن المشروع يُعطي العمل قيمةً كبرى حين يجعله
هم الإنسان وروحه وفكره ودقائق لحظاته، ويكتب على
صفحاته اسم صاحب المشروع، وكاتب تاريخه، وصانع
إنجازاته، ومهما كانت مشاركة الإنسان في أي عمل كبيرة

تظلُّ قوانينُ الكونِ ونواميسُه كُلُّها تؤمِّنُ بهذا الجهدِ،
وتقدِّرُ له حقَّه، لكنها تخرُّ ساجدةً مذعنةً لصاحبه الأولِ،
غارقةً في حبِّه والثناءِ عليه، ذلك لأنَّ معاناةَ الغرسِ في
البدايةِ أكبرُ بكثيرٍ من تعاوده بعدَ الكبرِ بالماءِ.

إنَّني أودُّ أن أقولَ لكلِّ من يقرأ أسطري هذه اللحظة:
إنَّ قيمةَ الإنسانِ وحياتَه وروحَه منوطةٌ بمشروعِ يتبنَّاهُ
في حياته، يعيشُ به هو أولاً أنفَسَ لحظاته، وأروعَ
دقائقِ أيَّامه، ثمَّ يمدُّ به في خطوِ الأُمَّةِ، ويباركُ به
مستقبلُها، ويثبتُ به في النهايةِ قدمُها على الأرضِ..
ويلقى الله تعالى يومَ القيامةِ والأفراحِ أقصرُ ما تعبَّرُ
عن تلكَ اللحظاتِ، وقد لا يدركُ الإنسانُ كم هي أرباحه
بمشروعه إلا حين يقفُ على أجوره وحسناته وتاريخه
التي أودعه في تلكَ الأوقاتِ من عمره.

وتعظَّمُ في عينِ الصَّغيرِ صِغارُها
وتصغُرُ في عينِ العظيمِ العِظامُ





المشروع والأحلام

أحلامك التي تعيشها هي واقعك الذي تكتبه غداً
في طيات الأيام، ومن لا حلم له لا مشروع له في قادمِ
الأيام.

إنَّ المشاريع الكبرى التي تُرى ماثلةً اليوم في الواقع
كانت بالأمس أحلاماً في أذهان أصحابها، وأمنياتٍ
تتلظى بها قلوبهم، وتاريخاً يتنفسونه في كل لحظة
أمل، وفي كل إشراقة روح.. ودارت الأيام، وكتبت هذه
الأماني واقعاً يترجم تلك المشاعر، ويكتب رحلة الإنسان
كإنسان.

إنني أتحدى كل إنسان تراه اليوم متلبساً بمشروعه
يعيش لحظات النجاح فيه أن يقول: إن هذا المشروع وُلد

اللحظة، ولم يكن له حلمًا، ولم تكن أمانٍ تخامرُ عقله،
وتتنفس في مشاعره، ويعيش لحظاته تخطو على الواقع
وهو لم يزلَ حلمًا في ذاكرته.

إنَّ من الصعوبة جدًّا أن ترى مشروعاً قفزَ إلى الواقع
ولم ينضج بعدُ في الرأس، أو لم يجدْ جولته الكبرى في
الذاكرة، وإذا وجدت ذلك فالأيامُ القادمةُ كفيلاً بمحوه
من الواقع، والصَّلَاةُ عليه صلاةُ الغائبِ.

إنَّ الرجالَ في الأرضِ هم في البداية طموحاتُ
أنفسِهِم، وواقعُ آمالِهِم، وذاكراتُ تفكيرِهِم، وقد رأيتُ
أناساً تنضج مشاريعُهُم في الذاكرة والأحلامِ سنينَ
طويلة، ثمَّ غابوا عنَّا، وطالَ زمنُ غيابِهِم، فإذا بالأخبار
ترحل إلينا بمشاريعِهِم قبل أن نجد خبراً واحداً
لحياتهم، وكذلك الأحلامُ تصنع هذه الأحداث.

إنَّ الأحلامَ الكبيرةَ يصنعُها الكبارُ من الرجال،
والأمانِيُّ العظامَ لا تجدُ مكاناً أنسبَ لها من عقولِ
الكبار، ويستحيلُ أن تجدَ ضعيفاً منهزماً في ذاته يفكرُ
في مشروعٍ يفجِّرُ به طاقاته، ويبني به آمالَ أمَّتِهِ، ويكتبُ
من خلاله تاريخَ الكبارِ في رحلتِهِم في الحياة.. وإنما

الأماني الكبار، والمشاريع الجبارة، يصنعها الكبار،
ويكتبها الواثقون من أنفسهم فحسب.

فأنت ما تفكر فيه، هذا أقرب تعريف لشخصيتك،
وأدق عنوان يعرف بك عامة الناس.

إن هذه الأحلام هي التي يدفعنا إليها القرآن دفعا
كبيراً، ويجبرنا على التحليق في سمائها، والركض إليها
بكل شوق، نقرأ ذلك في سورة الفرقان على السنة الكبار
وهم يرددون: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]..

فيا لله ما أروعها من أمنية! وما ألذها من تطلعات!..

إمامة المتقين قبل أن تكون واقعاً على الأرض لا بد
أن تكون حلماً كبيراً في النفس، لا بد أن تكون سوطاً
على القلب يدفع إلى ركوب الأهوال للوصول إلى روائع
الغايات..

إن من يقرأ هذه الآية ينضج في عقله هذا المعنى،
ويدفع به إلى تصوّر نهايته، ويجد للآية معنى مختلفاً
عن أي قارئ آخر، والذي يجلس في محرابه، أو في
لحظات خلوته، أو في ساعات الليل المتأخرة يردد هذا

الدعاء، تجده عاشه روحاً ومعنى وتفكيراً وحياء، قبل أن يراه واقعاً تدفعه اللحظات إلى المثل بين يدي الواقع.

والذي يقرأ هذا المعنى أو يكرّره في دعاء لا يجلس ينتظر هبة السماء تنزل باردة، وإنما تذهب كل لحظة من حياته تجوب الأرض تبحث عن المشروع ذاته وهي تدعو الله تعالى أن تعانقه في كل لحظة.

إنّ ما أقول لك في هذه اللحظة، وأؤكد عليك معناه كثيراً، وهو رأس الأمر وعموده وذروة سنامه: أن تخلو بنفسك لحظات طويلة، وأن تفكر في مشروعك، وأن تترك لنفسك أن تتخيل من أنت في قادم الأيام؟ وما مشروعك الكبير في الأرض؟ وما الشيء الذي تود أن تصنعه في المستقبل ليكون تاريخك كإنسان.. وأوصيك أن تدع المجال لنفسك تتخيل ما تشاء، فحرام أن تحبسها فلا ترى مستقبلها يُورق قبل الأوان.

إنّ الزمن الذي تتركه لتخيل مشروع حياتك هو أتمن لحظة تمر عليك في تاريخ العمل كله، وهي حقيقة بالتأني والتأمل والتفكير..

فَكَّرَ، وتَأَمَّلَ، وردَّدَ في كلِّ لحظةٍ من حياتك:

ونحنُ أناسٌ لا توسُّطَ بيننا

لنا الصُّدُرُ دُونَ العالمينِ أو القَبْرِ

تهونُ علينا في المَعالي نفوسنا

ومن يخطبُ الحسَناءَ لَمْ يغلها المهرُ

* * *

المشروعُ والقِمةُ



القِمةُ ذلك المكانُ الذي ترنو إليه أرواحُ الكبارِ، وتسمو إليه نفوسُ الناجحين، وتهفو إلى عليائه أشواقُ المحبين، ما رأيتُ مكاناً تألفُ عليه القلوبُ حبّاً، وترمقه العيونُ غبطةً، وتهتفُ به القلوبُ لوعةً كالقِمةِ.

إنّها لذةُ القلبِ، ولحظاتُ الانتصارِ، وخاتمةُ المطافِ، ودليلُ التفوّقِ، وعنوانُ الكبارِ، وهي دواءٌ لكلِّ مُجهدٍ، وراحةٌ لكلِّ مكدودٍ، وخاتمةٌ لكلِّ صاحبِ مشروعٍ.

والعلاقةُ بين المشروعِ والقِمةِ علاقةٌ وطيدةٌ تبدأ خُطواتها الأولى من المشروعِ، وتختتمُ خُطواتها على تلالِ القِمةِ ذاتها.. وهل يجدُ إنسانٌ أروحَ له من هذه العلاقةِ، وأطيبَ من تلك الوشيحةِ الرائعةِ.

المشروعُ تعبٌ وعناءٌ ورحلةٌ حياةٍ، وفي النّهايةِ لذةٌ
وتاريخٌ وحياةٌ..

المشروعُ تفرُّغٌ من متعِ الحياةِ، وسفرٌ عن هَواَمِشِها،
ورحلةٌ من تفاهِاتِها، وإلى أين؟.. إلى تاريخٍ يبرقُ ذهباً،
وعزٌّ يلبسُ تاجاً، وروحٌ ترفرفُ في المعالي، وتجدُ أروغَ
لحظاتها في متعِ الحياةِ الكبرى..

القِمّةُ لذيذةٌ وممتعةٌ، وهي المكانُ الوحيدُ الَّذِي يصفقُ
عليه الناجحونَ بهجّةً، وينادى بأسمائهم هناك فرحةً..
إنّهُ المكانُ الَّذِي تُطوى القلوبُ كمدّاً على فواتِ لحظاتها،
المشروعُ الَّذِي يختطُّهُ الإنسانُ لحياته هو المركبُ الَّذِي
يصعده ذلك الإنسانُ نحو القمة، لا يبالِي بطولِ مسافِتها،
أو مشقّة رحلتها.

لا أعلمُ صاحبَ مشروعٍ عاشَ حياتَه لمشروعِهِ، ونذرَ
وقتهُ لنَجَاجِهِ، وبذلَ فيه كلَّ ما يملكُ من جهدٍ وعناءٍ إلا
عانقَ القِمّةَ والتذّجَ بجمالها، وعاشَ لحظاتها لحظةً لحظةً،
وصارَ التميّزُ والنّجاحُ والتفوّقُ والإنجازُ وسَماً له تلقاه في
كلِّ طريقٍ، وتهتَفُ به في كلِّ مكانٍ.

وهكذا تظلُّ الدُّنيا كُلُّها حافلةً بذكرِ أصحابِ المشاريع،
وتظلُّ مشاريعُهم طرِيَّةً بذكرياتِهم، ويذهبُ النَّاسُ إلى كلِّ
موقعٍ من الأرضِ، وتبقى القِمةُ لأصحابِ المشاريعِ هي
الأرضُ التي عاشوا فيها، ورحلوا، وبقيتِ ذكرياتُهم خالدةً
فيها.

أَبَيْتُ سَهْرَانَ الدُّجَا وَتَبَيْتُهُ

نوماً وَتَبَغِي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي



لم يتملكني شعورٌ بالسَّعادة مثلَ تلك اللحظاتِ التي
أجدُني فيها مجَّهِّداً في بناءِ مشروعٍ، ومستغرقاً في
لحظاتِ البناءِ، وسابحاً في لحظاتِ العملِ والتَّحدِّي
ومغالبةِ الصُّعوباتِ والعقباتِ، تلك اللحظاتُ أجدُ فيها
معنى السَّعادةِ بكلِّ تفاصيلها، وأجدُ فيها معنى الإنسانِ
كإنسانٍ، وأشعرُ فيها بأنَّها رحلةُ حياةٍ بكلِّ ما فيها من
تفاصيل.

كنتُ أعتقد ذلك، ولا زلتُ، وسأظلُّ أردُّدُ: إنَّ الميلادَ
الحقيقيَّ للإنسانِ ليسَ تلك اللَّحظةُ التي يخرجُ صارخاً
إلى الدُّنيا من رحم أمِّه، وإنَّما يولدُ في اللَّحظةِ التي
يعثرُ فيها على مشروعه..

اللَّحْظَةُ الَّتِي يَعْتَرُ فِيهَا الْإِنْسَانُ عَلَى مَشْرُوعِهِ هِيَ
اللَّحْظَةُ الَّتِي لَا تَعْدِلُهَا لَحْظَةٌ فِي حَيَاةِ إِنْسَانٍ.. وَلَيْمَ لَا
تَكُونُ كَذَلِكَ وَهِيَ الْحَلْمُ الضَّائِعُ فِي حَيَاةِ مَلَائِينَ النَّاسِ
إِلَى تَارِيخِ هَذِهِ اللَّحْظَةِ؟..

كَيْفَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ وَهِيَ اللَّحْظَةُ الَّتِي كَتَبَتْ صَلَةَ
الْإِنْسَانِ بِالتَّارِيخِ؟ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَنْشَأُ مِنْبَتَ الصَّلَةِ مِنَ
التَّارِيخِ، ثُمَّ مَا يَلْبُثُ أَنْ يَكُونُ لَهُ مَشْرُوعاً فِي الْحَيَاةِ،
فَتَكْبُرُ تِلْكَ الْعِلَاقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّارِيخِ حَتَّى تَكُونُ صَفْحَةً
مِنْ صَفْحَاتِهِ أَوْ حَيَاةً مِنْ ذِكْرِيَاتِهِ.

افْتَحْ كُتُبَ التَّارِيخِ، وَقَلِّبْ صَفَحَاتِهَا صَفْحَةً صَفْحَةً،
سَتَجِدُ وَرَاثَ تِلْكَ الْأَوْرَاقِ، وَسَاكِنِي تِلْكَ الْمَقَامَاتِ، وَرَوَادِ
تِلْكَ الْأَمَاكِنِ، وَعُنَوَانِينَ تِلْكَ الْكُتُبِ أَصْحَابَ الْمَشَارِيعِ
فَحَسَبَ، وَلَوْلَا أَصْحَابُ الْمَشَارِيعِ لَمَا كَانَ لِلتَّارِيخِ حَيَاةٌ
فِي قَلْبِ إِنْسَانٍ.

إِنَّ غَالِبَ النَّاسِ الْيَوْمَ يَعِيشُونَ حَيَاةً وَاحِدَةً، يَلْتَدُونُ
فِيهَا بِمُتَعَهَا، وَيَجْدُونَ فِيهَا غَايَاتِهَا، ثُمَّ تَنْطَفِئُ تِلْكَ
اللَّحْظَاتُ، فَيَمُوتُ ذِكْرُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْحَيَاةِ كُلِّهَا، وَيَنْسَى
التَّارِيخُ إِنْسَاناً عَاشَ زَمْناً طَوِيلاً عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ رَحَلَ،

أَمَّا أَصْحَابُ الْمَشَارِيعِ فَلَا يَجِدُ إِلَيْهِمُ الْمَوْتُ طَرِيقًا،
وَيَبْقَوْنَ أَحْيَاءَ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا.

إِنَّ أَصْحَابَ الْمَشَارِيعِ تَجْرِي عَلَيْهِمْ سُنَنُ الْحَيَاةِ،
وَيُرْحَلُونَ بِأَجْسَادِهِمْ، أَمَّا أَرْوَاحُهُمْ فَتَظُلُّ حَاضِرَةً فِي
قُلُوبِ النَّاسِ، لَا تَأْتِي الدُّنْيَا عَلَى زَوَالِهَا مَهْمَا تَعَاقَبَتْ
سُنُونُهَا عَلَى رَحِيلِ صَاحِبِ مَشْرُوعٍ، وَإِذَا كَانَتْ عَادَةُ
التَّارِيخِ أَنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْأُمَمِ الَّتِي تَغُطُّ فِي نَوْمِهَا كَمَا
يَقُولُ مَالِكُ بْنُ نَبِيٍّ، فَكَذَلِكَ عَادَةُ التَّارِيخِ أَنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى
الْأَفْرَادِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَيْقِظُوا بَعْدُ مِنْ رَقْدَتِهِمْ وَغَفَلَتِهِمْ.

إِنَّ التَّارِيخَ لَا يَعْتَرِفُ إِلَّا بِأَصْحَابِ الْمَشَارِيعِ، فَهُمْ
عَشَاقُ مَجْدِهِ، وَبَنَاءُ حَضَارَتِهِ، وَكُتَّابُ صَفْحَاتِهِ، وَغَيْرُهُمْ
عَلَى الْهَامِشِ بَعْدُ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَرْضِ النَّزَالِ، وَمَوَاقِعِ
التَّحْدِي، وَلِحِظَاتِ التَّارِيخِ..

وِثْمَةٌ قَصَّةٌ تَعْطِي رِسَالَةً كَبِيرَةً جَدًّا فِي هَذِهِ الْعِلَاقَةِ
بَيْنَ صَاحِبِ الْمَشْرُوعِ وَالتَّارِيخِ، وَهِيَ قِصَّةُ (شَفِيقِ
جَبْرِ)؛ حَيْثُ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَثِيرَ الْأَسْفَارِ بَيْنَ الْبُلْدَانِ،
كَانَ يَسَافِرُ لِيَرَى النَّاسَ، وَيَرِصِدَ حَيَاتَهُمْ وَتَارِيخَهُمْ،
وَلِحِظَاتِهِمْ..

وذات مرة زارَ بلدًا من البلدان الكبرى، فوجد النَّاسَ يذهبونَ إلى قبورِ ذلك البلدِ يتأملونَ فيها ويعودونَ منها، فما لبثَ أن ذهبَ معهم، وبينما هو بين تلك القبورِ مع عامَّة النَّاسِ هناك؛ لَفَتَ انتباهَهُ أنَّ على كلِّ قَبْرِ حَجَرًا، مكتوبًا عليه اسمُ الميْتِ في ذلك القبرِ، وتاريخُ ميلاده، وزمانَ وفاته، إلَّا أنَّ الغريبَ في الأمرِ كُلِّهِ أنَّ ثَمَّةَ مفارقةٍ عجيبَةٍ، ومسألةٍ غامضةٍ فيما بين تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة، فيجدُ أنَّ صاحبَ هذا القبرِ وُلِدَ عام (١٩٥٠م)، وتُوفِّيَ عام (١٩٩٠م)، وعمره عامٌ واحدٌ، وآخرُ وُلِدَ في عام (١٩١٠م)، وتُوفِّيَ في عام (١٩٨٠م)، وعمره عشرونَ عامًا، فظنَّ أنَّ ثَمَّةَ خطأ في تدوين تاريخِ عمر كلِّ إنسانٍ!..

فخرج من المقبرة ولقي من لقي هناك فسأله عن هذه المفارقة بين تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة وعمر الإنسان، فقال له ذلك الإنسان: إنَّنا هنا في هذه المدينة لا نحسب من عمر الإنسان إلَّا الذي قضاه في مشروعٍ لمجتمعِهِ وأُمَّتِهِ، وما عدا ذلك من عمر الإنسان فهباءٌ لا فائدة فيه!..

فرجع شفيق جبر إلى نفسه سائلاً: وأنا ماذا فعلتُ
في هذه السنين الطويلة من حياتي؟

ثم قال يحكي قصّته وتاريخه، وهي ذات القصّة
والتاريخ لأمم من الناس اليوم على ظهر الأرض؛ قال
فيها لمن سأله: وأنا إذا متُّ عندكم فاكتبوا على قبري:
«شفيق جبر.. من بطن أمه إلى عالم القبر».

وصدق في ذلك؛ فإن أعمار الناس، وتاريخ حياتهم،
ورحلة أيّامهم الكبرى ليست هي السنين التي عاشها هنا
أو هناك، وإنما العمر الحقيقي للإنسان هي تلك الأيام
التي عاشها في مشروع، وكتب من خلال ذلك المشروع
تاريخه الذي يكتب في النهاية على قبره.

وقد خلّد الطنطاوي رحمه الله هذا المعنى في رسالة قال
فيها: إن حياة الإنسان ليست بطول السنين، وإنما
بعرض الأحداث التي يتركها في الأرض..

وصدق والله؛ فليس ثمة فرق في طول السنين بين
الناس، وإنما الفرق يكمن في الأحداث التي يتركها
الإنسان قبل أن يرحل عن عالم الأرض.

ولم يلوِ عنقي للالتفاتِ شيءٌ ما يلويها إنسانٌ ذهبَ
يكتبُ تاريخَه ولم يتوقَّفْ لعقبةٍ من عقباتِه حتى الآن..
وإنِّي على ذِكره وهو يردُّ في العالمين:

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا
فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمُرٌ ثَانِي

* * *

لماذا المشاريع؟



لعلّ من الأسئلة التي تدور في ذهن القارئ لهذا الكتاب هذا التساؤل:

لماذا المشاريع بالذات؟ لماذا هذا الحديث الطويل عنها مع أنه يمكن للإنسان أن يقدم في تاريخ حياته عملاً لا تنطبق عليه صفة المشروع، لكنه عمل مبارك نافع يخدم به نفسه، ويدعم به رسالة مجتمعه ووطنه وأمتّه؟

وإنني هنا حين أؤكد على المشروع بالذات، وأدعو إلى اعتناقه، وأدفعك أيها القارئ الكريم لتمثله في حياتك، وذلك لجملة أسباب:

أولاً: إنّ المشروع يختلف عن أي عمل آخر؛ لأنّ كلّ عمل لم يتلبّس باسم المشروع صار إلى الزوال أقرب

منه إلى الدوام، فغالب الأعمال التي يقدمها الإنسان في حياته تنتهي بانتهاء اللحظة التي يفارقها فيها، وفي انتهاء العمل توقّف لرحلة الأجر في حياتك.

إنّ كل إنسان يهفو للحظات التي يستمر فيها أجره، وينتظر اللحظات التي تزيد فيها حسناته، وحاجة الإنسان إلى حسنات دائمة وأجور مستمرة أبلغ من كل حاجة في الدنيا، وهذا كله مقرون برحلة الإنسان في مشروع، غير متوفر في بقية الأعمال مهما كانت زاكية وكبيرة.

إنّ حجم المشروع في حياة الإنسان يحتاج إلى جهد وعناء، وبذل وتضحية، وقد بلغك أنّ أجر الإنسان في الدنيا على قدر مشقته، فالفرق بين العمل الطارئ على إنسان وبين المشروع فرق هائل؛ فالمشروع يحتاج إلى تضحيات كبيرة، ولذلك يظل أجره كبيراً، والحسنات العائدة منه أكبر من كل عمل مهما كان.

ثانياً: إنّ كل إنسان يهفو للحظة التي يصنع فيها تاريخ مجتمعه، ويكتب فيها كيان أمته، وتطل الأعمال مهما بلغت قليلة القدر، ضعيفة الأثر في تحقيق الأهداف الكبرى التي نريدها على مستوى الأمة.

إنَّ مِيزَةَ المشاريعِ أَنَّها كبيرةٌ، وتحتاجُ إلى جهودٍ ضخمةٍ، وكلَّما كانَ العملُ يلبسُ أثرَ المشروعِ وقيمتهُ كانَ سهمُهُ في الإصلاحِ أكبرَ وأفضلَ، وأسَدَّ لحاجةِ الأمةِ من غيرِهِ.

إنَّ أمتنا اليومَ في أمسِّ الحاجةِ إلى رجالٍ يمثُلونها، ويقفونَ على نُفُورِها، ويجودونَ بكلِّ ما يملكونَ لسدِّ حاجتها، وحينَ يتزاحمُ أفرادُها على كتابةِ تاريخِها لن يجدوا أكثرَ أثراً من تزاحمِهِم على إقامةِ مشاريعٍ تدفعُ بعَجلَتِها إلى الصُّفوفِ الأولى، ويظلُّ أيُّ عملٍ قاصراً على أن يحققَ تلكَ الآمالَ الكبيرةَ التي تظلُّ حاجةَ الأمةِ معلقةً بها.

ثالثاً: إنَّ العملَ في مشروعٍ يظلُّ أعظمَ تحدٍّ يخوضُهُ الإنسانُ في حياته، وهو كذلكَ برهانٌ كبيرٌ على تحمُّلِ هذهِ النفوسِ لهماومِ الأمةِ، وتكاليفِ مستقبلِها مهما كانت، وهو كذلكَ تجربةٌ رائعةٌ وكبيرةٌ لخوضِ غمارِ التَّحدِّي مع ذاتِ الإنسانِ لاعتناقِ مشروعِ الحياةِ، والنفرةِ بهذهِ الروحِ إلى عالمِ العملِ والتَّحدِّي والسِّباقِ نحوِ المعالي مهما كانتَ تكلفتُها.

إِنَّ الْعَمَلَ مَهْمَا كَانَ كَبِيرًا يَظَلُّ اخْتِبَارُ الْإِنْسَانِ لِقُدْرَاتِهِ
فِيهِ ضَعِيفًا، وَلَا يَتِمَكَّنُ مِنَ الْوُقُوفِ عَلَى قُدْرَاتِ نَفْسِهِ
وَتَطْلُعَاتِهَا فِي الْحَيَاةِ، وَقُدْرَتِهَا عَلَى خَوْضِ غَمَارِ التَّحَدِّيِّ
مَا لَمْ يَتَلَبَّسْ بِمَشْرُوعٍ تَلَبَّسَهُ بِرُوحِهِ، وَحِينَ يَكُونُ ذَلِكَ
يَقِفُ عَلَى قُدْرَاتِهِ كُلِّهَا بِوُضُوحٍ.

* * *

ما هو المشروع؟^(١)



المشروع العُمريُّ هو مشروعٌ تتَّضحُ في ذهنٍ صاحبه أهدافُهُ، وتستولي فكرُهُ على فكرِهِ وعقلِهِ، ويبدِّلُ له جميعَ طاقاته..

هذا هو مشروعُ العمرِ الذي نصبتُ لك رايةَ هذا الكتابِ من أجلِهِ، وفرضتُ لك من سنامٍ وفتي أجلَّهُ وأروعَهُ، وكتبتُ إليك به وروحي تنزَعُ إلى حروفِهِ وأسطرِهِ أروعَ لحظاتها.

مشروعُ العمرِ عملٌ تتبنَّاهُ لِنَفْسِكَ، فتخدمُ به دينَكَ ومجتمعَكَ، وتكتبُ به رحلةَ أَمَّتِكَ في الأرضِ.

(١) نشوء الفكرة كان قبل سنوات طويلة إثر كلمة سمعتها من فضيلة الدكتور عبد الله الشهراني في لقاء جمعني به، قلت ذلك عرفاناً لصاحب الفضل الأول، وحتى ندرك أهمية وأثر الكلمة العملية التي تلبس ثوب الصدق، وماذا ترك في قلوب الآخرين.

هو الهدفُ الكبيرُ الذي نصبتَه لنفسك، وتوجهتَ إليه بقلبك، وسعيتَ له بكلِّ ما تملكُ من وقتٍ وجهدٍ ومالٍ، ليكونَ شيئاً ماثلاً في الحقيقةِ، وكائنًا حقيقياً في الأرضِ.

هو في النهايةِ رسالتُك ورؤيتُك التي كتبتها لنفسك، وتودُّ أن تكونَ هي بذاتها شيئاً ماثلاً، وحقيقةً واقعيةً.

هو مشروعٌ يلامسُ مشاعركَ، ويهتفُ بقلبك، وتجدُ روحَكَ فيه كأنك تولدتُ عند ذكره من جديدٍ.

هو عملٌ يلدُ - أولَ ما يلدُ - فكرةً في ذهنك، ثمَّ ينمو كلُّ لحظةٍ من عمركَ كما ينمو الجنينُ، ويشبُّ مع الأيامِ حتَّى يكونَ كلُّ شيءٍ في حياتك، يلدُ - كما قلتُ - فكرةً، ثمَّ تتعاهدُها بأحلامك، وتفكيرك، وتشغلُ بها نفسك في كلِّ يومٍ، حتَّى تراها في كلِّ موقفٍ، وتتجسدها في كلِّ لقاء..

إذاً مشروعُ العمرِ عملٌ تحبُّه وتهواه، قد يكونُ هذا العملُ علمياً، وقد يكونُ تربوياً، وقد يكونُ اجتماعياً، وقد يكونُ ما يكون... المهمُّ أنَّه في النهايةِ عملٌ

ورسالةٌ، وشيءٌ يمكن أن يكون مشروعاً كبيراً في
مستقبل الأيام.

المهم أن يكون هذا العملُ كياناً في قادم الأيام يستطيع
أن يقف على قدميه، ويدعو الناس إلى رؤيته ومشاهدته،
وتشرف أنت أن يكون لك هذا المشروع في الحياة.

* * *

ما الفرق بين العمل والمشروع؟

قد يطرق عقل القارئ سؤال يقول: ما الفرق بين العمل وبين المشروع؟ وهل كل عمل يمارسه الإنسان في حياته يمكن أن يكون مشروعاً؟ وما الفروقات بين الأعمال والمشروعات؟.

وهي أسئلة مهمة ومُلحّة ومؤثّرة في تحقيق غايات الإنسان وأمنياته في الحياة.

ويمكن أن يقال في التفريق ما يلي:

أولاً: إنَّ العمل أياً كان لا يكتسب صفة المشروع حتّى يكون الإنسان هو الذي اختاره وارتضاه لنفسه من بين كلّ الأعمال المطروحة، فهو قبل أن يكون

عملاً في الواقع كان مشروعاً يجد له الإنسان لذة ورغبة عارمة، واستمتاعاً كبيراً أثناء القيام به.

ثانياً: إن المشروع لا يكون مشروعاً حتى يستنفر كل طاقات الإنسان وامكانياته، ويستحوذ على وقت الإنسان ودقائق راحته، ورحلة حياته كلها، وكل عمل لا يختاره الإنسان لنفسه، وإنما دفع إليه من غيره، ولا يجد في أثائه لذة ومتعة وراحة وحباً وشوقاً إلى دقائقه، ولا يستنفر طاقاته كلها، ولا يستحوذ على وقته؛ لا يمكن أن يكون مشروعاً في الحياة.

وهذا كله بخلاف العمل العادي الذي لا يستحق وصف المشروع؛ فهو عمل دفع إليه الإنسان أولاً، ولم يكن باختياره، ومضى فيه وهو يجد في لحظاته تعباً ومشقةً، ولا يشعر في أثائه براحةً وطمأنينةً، ولا يجد في قلبه حباً يستثيره للتلذذ بأوقاته ولحظاته.

وقد يكون دافع العمل حب المشاركة ليس إلا، وقد يكون قرضه الواقع والظروف المحيطة بالإنسان، وعلى هذا لا نقول لأي عمل: إنه تحول مشروعاً في حياة إنسان حتى يختاره الإنسان هو بنفسه، ويجد له رغبة

مُلِحَّةٌ فِي حَيَاتِهِ، وَيَسْتَهْوِيهِ لِدَرَجَةِ الْعَشْقِ وَالْهَوَى؛ فَيَنْفَقُ
لِأَجَلِهِ، وَيَسَافِرُ لِأَجَلِهِ، وَيَرْحَلُ مِنْ أَجْلِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ،
وَيَقْرَأُ مِنْ أَجَلِهِ، وَيَبْذُلُ كُلَّ مَا يُمْكِنُ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِهِ
وَالْوُصُولِ إِلَى عَنَاقِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَسْتَنْفِرُ كُلَّ طَاقَاتِ
الْإِنْسَانِ، وَيَسْتَحُوذُ عَلَيْهَا، وَيَنْفِرُ بِرُوحِهِ إِلَى رُكُوبِ
الْأَهْوَالِ.

* * *

هل يمكن أن يحوّل الإنسان ميولَه إلى مشروع ما؟



الأصلُ أنَّ مشروعَ الإنسانِ هو ما استولَى على فكرِه وعقله من البداية، وحلَّ حُبُّه في قلبِه، ووجدَ لذَّته، واستمتعَ بدقائقِه كلَّ لحظةٍ، هذا هو الأصلُ في مشروعِ العمرِ، ذلكَ لأنَّ الإنسانَ حينَ ينطلقُ في مشروعٍ يجدُ له هذه المعالِمَ في قلبِه، ويجدُ الحادي بعدَ ذلكَ لاستنفارِ طاقاته، وركوبِ الأهوالِ لاعتناقِ ذلكَ المشروعِ، ويسترخِصُ في طريقِه كلَّ غالٍ مهما كانَ باهظَ الثمنِ، كبيرَ التكاليفِ، وكلُّ مشروعٍ يجدُ له الإنسانُ في قلبِه هذا الهُتافَ الكبيرَ في الغالبِ أنَّه يعيشُ لذَّته، ويستفرغُ فيه كلَّ إمكاناتِه، ويصلُ في النهايةِ إلى أن يكونَ المشروعُ حقيقةً على الأرضِ.

فإن لم يجد الإنسان من نفسه ميولاً إلى مشروع بهذه الدرجة، ولم يتمكن من الوصول إلى مواصفات مشروع بهذا الحجم في قلبه، أو استلذ مشروعاً يرى أنه لا يمثل حجم تأثيره في الحياة، ولا يناسب قدراته وطموحاته، وأراد أن يلوي عنق هذه الرغبة إلى مشروع آخر، فيمكن ذلك بشروط:

أولاً: أن يتوافق المشروع الجديد مع قدرات ذلك الإنسان، وإمكاناته، ويكون في النهاية لديه تصوّر واضح أنه يمكن أن يدفع بقوة لأن يكون المشروع الأعظم في حياته.

ثانياً: ألا يكون الدافع إلى المشروع الجديد تقليد فلان من الناس، على حساب ميول الإنسان وقدراته وإمكاناته، فقد يدفعه التقليد دون أن يشعر إلى مشروع معين، موهماً نفسه بأنه يوافق ميوله، ويحقق له ما يتمناه، وكل ذلك خلاف الواقع الذي ينبغي أن يكون في حياته.

ثالثاً: كل إنسان بصيرٌ بنفسه في اختيار مشروعه دون غيره، فإذا رأى الإنسان من نفسه ميولاً تجاه المشروع

الجديد، ووجدَ إقبالاً ولو لم يكنَ كبيراً في البداية إلاَّ
أنَّه يمكن أن ينموَ بالتعاهدِ، والمواصلةِ، والاستمرارِ،
فيمكنُ أن يكونَ مجالاً لتجربةٍ جديدةٍ قادمةٍ في حياةِ
ذلك الإنسانِ.

* * *

أصحاب المشاريع

تظل حاجة الإنسان إلى القدوة كبيرة ومُلِحَّة، ويظل كل إنسان يلهث وراء التجربة العملية أكثر من تعلُّقه بالكلمة حتَّى وإن كانت تطرب القلب وتلهب المشاعر..

إن أصحاب المشاريع في الأمة عددٌ كبيرٌ، كتبوا مشاريعهم تجربةً تطبيقيَّةً، ونجاحاً عملياً، ولم يتركوا للكلام مساحةً بقدر ما تركوا العمل يتحدث عن نفسه واقعاً تشاهده الأجيال حياً قبل أن تقرأه مكتوباً على صفحات الكتب.

ولن أتِي في لحظات كهذه على ذكرهم جميعاً، لكنني سأذكر أمثلة وشواهد حيَّة من السابقين، واللاحقين؛ مؤملاً أن أجدد بها الأمل في حياتك، وأرسم بها مستقبل أيامك كأنها الربيع أو تكاد:

• الرُّسُلُ عليهم صلواتُ الله تعالى وسلامُهُ من زمنِ نوحٍ إلى زمنِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلُّهُمْ جاؤُوا بأعظمِ مشروعٍ إلى الدُّنيا: «مشروع الدُّعوةِ إلى الله تعالى»، وظلُّوا مستميتينَ في تحقيقِ مشاريعِهِمْ، جادِّينَ في بلوغِها إلى غاياتِها، وقد عاشُوا لها كلَّ لحظةٍ من حياتِهِمْ، وكلُّ صاحبِ مشروعٍ في الأرضِ جزمًا أَنَّهُ يستقي منهم، ويشربُ من مَعِينِهِمْ.

• أَبِي بَنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان مشروعُه: «حفظ وضبط كتابِ الله تعالى» لم يزلْ عاكفًا على مشروعِه، مهتمًّا به، غارقًا في تفاصيلِه، حتَّى وصلَ فيه إلى الدرجة التي قالَ النَّبِيُّ ﷺ له: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» قالَ أَبِي: اللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قالَ: «نعم» قالَ: وَذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ قالَ: «نعم».. فذرفت عيناه^(١)..

وهو ممَّن جمع القرآنَ الكريمَ في زمنِ النَّبِيِّ ﷺ حتَّى ضربَ النَّبِيُّ ﷺ مرَّةً من المَرَّاتِ صدرَه قائلاً: «لِيَهْنَكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنذر»^(٢).

(١) رواه البخاري: (٤٩٦٠)؛ ومسلم: (٧٩٩).

(٢) رواه مسلم: (٨١٠)؛ وأبو داود: (١٤٦٠).

• الأُمَّةُ السُّوداءُ: التي كانَ مشروعُها: «العناية بتنظيفِ مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ».. ظَلَّتْ تُعْنَى بهذا المشروعِ حياتُها حتَّى إِنَّها بنتُ خِباءِها في ذاتِ المسجدِ، وهي تجدُ روحَها وحياتُها بينَ طَيَّاتِ مشروعِها، وحينَ دخلَ النبيُّ ﷺ مسجدَه ذاتَ يومٍ لم يجدْ صاحبةَ المشروعِ، وراعَه فَقَدُها، فسألَ عنها فَإِذا بِصَحَابَتِهِ ﷺ يخبرونه خبرَها.. لقد ماتت في ساعةٍ متأخِّرةٍ مِنَ اللَّيْلِ، ففَسَّلوها، وكفَّنوها، وصلَّوا عليها، ثُمَّ دفنوها ولم يخبروا نبيَّ اللهِ ﷺ مخافةَ إرهابِهِ والمشقَّةِ عليه.

فإِذا به ﷺ يتأسَّفُ على فواتِها، ثم يفي لصاحبةَ المشروعِ، ويذهبُ إلى قبرِها ويصلِّي عليه وفاءً لحَقِّها، واعترافاً بمشروعِها، ولا أعلمُ إلى هذه اللحظةِ أَنَّ النبيَّ ﷺ تتبَّعَ جنازةَ امرأةٍ إلى القبرِ بعدَ الصَّلَاةِ عليها، وفواتِ حظِّه من المشاركةِ في تشييعِها؛ إِلاَّ هذه المرأةُ: حتَّى تُعلمَ عظمَةُ ذلك المشروعِ في الإسلامِ، وأنَّ الإسلامَ يحتفي بكلِّ جهدٍ ومشاركةٍ هدفُها إيصالُ رسالَتِهِ وتبليغُ منهجِهِ حتَّى لو كانَ يقيمُ قمامةَ المسجدِ كلَّ لحظةٍ.

ورحلت الأمة السوداء من الأرض، وبقي ذكر مشروعها في حياة الناس اليوم كعبق الطيب أو أكثر.

• **عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** كان أحد مشاريعه: «تعلم سورة البقرة، وفقه معانيها، وتدبر ما فيها من آيات.. واستغرق لإتمام هذا المشروع اثني عشر عاماً، ثم نحر جزوراً على تمام مشروع، وهذا الزمن الذي قضاه في مشروع، يدلُّك على عمقه في نفسه، وأثره في تكوين حياته، وأفراحه بنحر الجزور على نهايته وتمامه يدلُّك على عظمتِه في نفسه، وغايته في تحقيق آماله.

• **حسان بن ثابت رضي الله عنه:** كان مشروع الذي عاش له: «الشعر».. حتَّى كان شاعر رسول الله ﷺ في زمنه، وتقوّت الدعوة بمشروع، وشاع به دين الله تعالى في الأرض، وهزَمَ به الأعداء هزائمَ نفسيّة في مواقف كثيرة؛ حتَّى قال النبي ﷺ: «أجب عني، أيديك الله بروح القدس».

وقال له ﷺ: «اهجهم وجبريلُ معك».

وقال ﷺ في بيان أثر المشروع في رفعة الدين، وهزيمة الباطل: «إنه أشدُّ عليهم من وقع النبل».

• خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ مَشْرُوعَهُ الَّذِي عَاشَ
لَهُ دَقَائِقَ حَيَاتِهِ وَتَفَاصِيلَ عُمُرِهِ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ».. حَتَّى قَالَ الذَّهَبِيُّ عَنْهُ: «سَيْفُ اللَّهِ تَعَالَى،
وَفَارِسُ الْإِسْلَامِ، وَلَيْثُ الْمَشَاهِدِ، السَّيِّدُ الْإِمَامُ،
الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ، قَائِدُ الْمَجَاهِدِينَ، أَبُو سُلَيْمَانَ
الْمَخْزُومِيُّ الْمَكِّيُّ، شَهِدَ الْفَتْحَ وَحُنَيْنًا، وَتَأَمَّرَ فِي
أَيَّامِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاحْتَبَسَ أَذْرَاعَهُ وَلَأَمَتَهُ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، وَحَارَبَ أَهْلَ الرَّدَّةِ وَمُسَيْلِمَةَ، وَغَزَا الْعِرَاقَ،
وَاسْتَظْهَرَ ثُمَّ اخْتَرَقَ الْبَرِّيَّةَ السَّمَاوِيَّةَ؛ بِحَيْثُ قَطَعَ
الْمَفَازَةَ مِنْ حُدِّ الْعِرَاقِ إِلَى أَوَّلِ الشَّامِ فِي خَمْسِ
لَيَالٍ فِي عَسْكَرٍ مَعَهُ، وَشَهِدَ حُرُوبَ الشَّامِ، وَلَمْ يَبْقَ
فِي جَسَدِهِ قَيْدٌ شَبِيرٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ طَابِعُ الشَّهَادَةِ، عَاشَ
سِتِينَ سَنَةً، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَبْطَالِ، وَمَاتَ عَلَى
فِرَاشِهِ؛ فَلَا قَرَّتْ أَعْيُنُ الْجَبْنَاءِ». اهـ.

وَوَصَلَ شَفْعُهُ بِمَشْرُوعِهِ وَحُبُّهُ لَهُ وَانْتِمَاؤُهُ إِلَيْهِ حَتَّى
قَالَ: مَا مِنْ لَيْلَةٍ يُهْدَى إِلَيَّ فِيهَا عُرُوسٌ أَنَا لَهَا مُحِبٌّ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، كَثِيرَةِ الْجَلِيدِ، فِي
سَرِيَّةٍ أَصْبَحَ فِيهَا الْعَدُوَّ.

وتعذّر في آخر حياته عن بُعدِه عن كثرةِ قراءةِ القرآنِ
بمشروعِه قائلاً: منعني الجهادُ كثيراً من القراءة..

وها هو يبكي في آخر لحظاته في الدنيا، ويكتبُ لنا
بمدادٍ من ذهبٍ عظمةَ المشروعِ في حياته قائلاً: لقيتُ
كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبرٌ إلا وفيه ضربةٌ
بسيفٍ أو رميةٌ بسهم، وها أنذا أموتُ على فراشي
حتفٌ أنفي كما يموتُ البعيرُ، فلا نامتُ أعينُ الجبناء.

- عائشة بنتُ أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه: كانَ مشروعها
الذي عاشتَ له حياتُها: «العلم»؛ حتّى بلغَ مُسنَدُها
«ألفينِ ومئتينِ وعشرةَ أحاديثٍ».. قالَ الذهبيُّ: ولا
أعلمُ في أمّةٍ محمدٍ صلّى الله عليه وآله من النساءِ، بل ولا في
النساءِ مطلقاً امرأةً أعلمَ منها. اهـ.

- أبو هريرة الصّحابيُّ الجليلُ رضي الله عنه: صاحبُ مشروع
عاشَ له لحظاته، وبذلَ فيه أوقاته، وأودعَ فيه كلَّ
ما يملكُ من جهدٍ، وفي النّهاية غادرَ أبو هريرة
الأرضَ، وظلَّ مشروعُه نهراً دافقاً يجري في جسدِ
الأمّة؛ يحييها كلّ لحظةٍ، ويهتفُ بها في رحابِ السُّنةِ
النّبويّة.

مشروع أبي هريرة رضي الله عنه: «حفظُ حديثِ النَّبِيِّ ﷺ»،
ولم يغادر الدنيا حتَّى كتبَ جلالَةَ مشروعه وحفظَه لتراثِ
الأُمَّةِ رغمَ ظروفِ فقرِه، وقلةِ جهده، وضعفه؛ إذ كانَ من
أصحابِ الصُّفَّةِ الفقراءِ في زمنِ رسولِ الله ﷺ، ومع
ذلك تحدَّثَ هذا الفقيرُ عن مشروعه قائلاً: «ما أحدٌ من
أصحابِ رسولِ الله ﷺ أكثرَ حديثاً منِّي عنه، إلا ما كانَ
من عبدِ الله بنِ عمرو؛ فإنَّه كانَ يكتُبُ ولا أكتبُ».

فالله ما أجلَّ مشروعه! فلو لم يكنْ منه إلا حفظُ
السُّنَّةِ، وإشاعتُها في النَّاسِ، وحفظُ دينِ الله تعالى؛ لكانَ
كافياً في المقامِ..

وأنْتَ ترى اليومَ كم هو أثرُ هذا المشروعِ في حياةِ
الأُمَّةِ، ولا يُذكرُ اليومَ نبيُّك ﷺ في مجلسٍ، أو لقاءٍ،
أو درسٍ، أو اجتماعٍ؛ إلاَّ وبِصُحبَتِه هذا الصَّحابيُّ
الجليلُ رضي الله عنه..! إنَّها المننُ على أصحابِها تقيمُهم كلَّ
لحظةٍ من قبورِهم كأنَّهم أحياءُ أو يكادونَ.

• عبدُ الله بنُ عمر رضي الله عنهما: كانَ أحدَ مشاريعِه: «تعلُّمُ
سورةِ البقرة، وفقه معانيها، وتدبُّر آياتِها» كمشروعٍ
أبَّيه تماماً، وقضى في هذا المشروعِ ثمانِي سنواتٍ

قضاها كلها في الرحلة مع هذا المشروع، وقضى فيه أروع لحظاته وأنفاسه.

• البخاري رحمه الله: ومشروعه العمري: «حفظ حديث رسول الله ﷺ».. عاش لمشروعه، وذهب يكتب أحلامه كأنها الحقيقة الناصعة في نظره.

بدأت عنايته بهذا المشروع، واستنهض همته له وهو في أيام الصغر في سن العاشرة، ولم يتركه حتى رحل من الأرض وعمره اثنتان وستون سنة؛ إذ قضى في مشروعه ما يزيد على خمسين سنة، وهو يجهد في بنائه، ويسعى لاكتمال قوامه..

وأخيراً ترك للأمة مشروعاً بلغ في قامته أنه يأتي بعد كتاب الله تعالى.. فيا لله ما أعظمه من مشروع! وما أروع من تاريخه!..

وهذا المشروع الذي تراه الأمة اليوم بهذا الحجم لم يكن وليد لحظات باردة.. كلا؛ وإنما كان ضجيع التعب والهموم والمعاناة الكبرى في حياة رجل صاحب مشروع كالبخاري، بلغ من عنايته بمشروعه أنه لم يدون حديثاً

واحداً في كتابه الصَّحِيحِ حَتَّى يَفْتَسَلَ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ!..

ولم يرحلْ صاحبُ المشروعِ حَتَّى اعترفَ لَهُ أصحابُ الشَّانِ، ورفقاءُ الدَّرَجِ بلقبِ أميرِ المؤمنينَ في الحديثِ، حَتَّى قالَ ابنُ خزيمةَ واصفاً صاحبَ المشروعِ: ما تحتَ أديمِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ بالحديثِ من مُحَمَّدٍ بنِ إِسْمَاعِيلَ البخاريِّ.

وقالَ أبو جعفر: سمعتُ يحيى بنَ جعفرٍ يقولُ: لو قُدِّرَ لي أَنْ أَزِيدَ في عُمُرِ مُحَمَّدٍ بنِ إِسْمَاعِيلَ من عمري لفعلتُ؛ فَإِنَّ موتي يَكُونُ موتَ رجلٍ واحدٍ، وموته ذهابُ العلمِ.

فيا لله! بلغتْ أُمْنِيَةُ الكِبَارِ إلى هذه الدَّرَجَةِ من التَّقْدِيرِ لأصحابِ المشاريعِ في الحياةِ.

وودَّعَ البخاريُّ الدُّنْيَا، وتركَ لنا صَحيحَهُ علامةً شاهدةً على روحِ مشروعه وأثره في كتابة تاريخِ الأُمّةِ من جديدٍ، ويكفيه شرفاً وقُدْرًا ورفعةً أَنْ أقامَ النَّبِيُّ ﷺ بينَ الأُمّةِ ناطقاً في كلِّ لحظةٍ إلى قيامِ السَّاعَةِ.

- الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: كان مشروعه: «تأليف كتاب: فتح الباري شرح صحيح البخاري»..

وقضى في مشروعه خمسةً وعشرين عاماً، ثم احتفى بنهاية مشروعه احتفاءً كبيراً، فأقام وليمةً على ذلك كلفت ثلاثمئة دينارٍ ذهباً، وذَهَبَ أثرُ مشروعه عظمةً وأثراً في حياة الأمة، حتَّى قال الشُّوكاني رَحِمَهُ اللهُ: لا هجرةَ بعد الفتح. اهـ.

وها هي الأمة من تاريخ الحافظ إلى يومها هذا يظلُّ هذا المشروعُ هو أعظمَ المشاريعِ التي خُطَّتْ لبيانِ جلالَةِ كتابِ صحيحِ البخاري.

- ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: ومشروعه: «العلم الشرعي، والفقهِ منه خاصة».. عاش له حياته، وصرفَ فيه أغلى أوقاته، وكتبَ في النِّهاية مشروعه العمليَّ الَّذي خرج به في كتبٍ كثيرةٍ تستنيرُ الأمةُ بها اليومَ في كلِّ لحظةٍ من حياتها، وتجدُ فيها جهده ووقته وحياته وأنفاسه كأنها اللحظاتُ، ولو لم يكن من نتاج مشروعه إلا كتابُ «المغني» لكان كافياً في المقام، كافياً في رحلةِ المشاريعِ التي تستضيءُ بها الأمةُ في كلِّ أوقاتها إلى قيامِ السَّاعةِ.

- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون رَحِمَهُ اللهُ: وقد قَدَّمَ
لِلأُمَّةِ مشروعاً فكرياً كبيراً؛ تَمَثَّلَ في كتابه: «العبر،
وديوان المبتدأ والخبر».

ولأثر هذا المشروعِ وأهمَّيتهِ في حياةِ الأممِ اليومِ
رُفِعَ به ابنُ خلدونَ إلى كبارِ المفكرينَ؛ حتَّى قيلَ
عن مشروعِهِ: عملٌ لم يَقمَ بمثلهِ إنسانٌ في أيِّ زمانٍ
ومكانٍ!..

- جابر بن حيان: ومشروعِهِ: «علمُ الكيمياءِ» الَّذي
برَعَ فيه، وصرفَ له كلَّ ما يملكُ من وقتٍ وجهدٍ
وعناءٍ، حتَّى صارَ هذا العلمُ يعرفُ به؛ فيقالُ: علمُ
جابرٍ! حتَّى قالَ عنه ابنُ خلدون: إمامُ المدوِّنينَ
في علمِ الكيمياءِ: جابرُ بنُ حَيَّانَ، حتَّى إنَّهم
يُخصِّصُونَهَا به فيسمُّونها: «علمُ جابرٍ».. وله فيها
سبعونَ رسالةً. اهـ.

وعُدَّ صاحبُ المشروعِ أوَّلَ من أدخلَ التَّجربةَ العلميَّةَ
المُخبريَّةَ في منهجِ البحثِ العلميِّ، وقد عكفَ على
مشروعِهِ واهتمَّ به وعني بنجاحه، وكتبَ فيه مؤلفاتٍ،
وتُرجمَتْ هذه الكتبُ إلى اللُّغةِ اللاتينيةِ، وظلَّتْ هذه

الكتبُ هي المرجعُ الأوفى للكيمياءِ قريباً من ألفِ عامٍ.

- مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْخَوَارِزْمِيُّ: ومشروعُه: «علم الجبر»، والذي يُعرف باسمه إلى اليوم في بلاد الدنيا، واعترفَ علماءُ الغربِ قاطبةً بأثره في علم الجبر، ووصفوه بأنه أعظمُ رياضيٍّ في عصره، بل عدّه بعضهم أعظمَ رياضيٍّ في كافةِ العصور.. وهذا كُلُّه يدلُّك على عظمِ مشروعه في الأرض، وأثره في تحريكِ العجلةِ العلميّةِ في الحياة..

- ونماذجُ أخرى مماثلةٌ في السّاحةِ العلميّةِ التجريبيّة؛ كالرّازيِّ أحدِ أعلامِ الطّبِّ، وابنِ النفيسِ كذلك في ذاتِ المجالِ، ومالكِ بنِ نبيٍّ في مشروعه الفكريّ، وأبو الأعلى المودوديّ... وآخرين على ذاتِ المشروعِ كثر بحمدِ الله تعالى في هذه المشاريعِ العلميّةِ والفكريّةِ التي أسهمتْ بجلالٍ في تقدّمِ الأمّةِ، وكتابةِ تاريخها.

- سليمانُ بنُ عبدِ العزيزِ الرّاجحيّ: ومشروعُه: «مشروعُ ماليّ»، حيثُ عاشَ لهذا المشروعِ وهو في

سَنٌ مَبْكُورَةٌ جَدًّا لَمْ يَصِلْ لِلْعَاشِرَةِ مِنْ عَمْرِهِ بَعْدُ،
وَضَلَّ مَرَابِطاً عَلَى هَذَا الْمَشْرُوعِ، وَقَدَّمَ لَهُ أَعْظَمَ
تَضَحِيَّاتٍ يَقْدُمُهَا إِنْسَانٌ، وَهَاهُو يَرْكُضُ نَحْوَ بِنَاءِ
مَشْرُوعِهِ، وَاكْتِمَالِ آثَارِهِ مِنْ سَنِّ الطُّفُولَةِ بِالْأَمْسِ
إِلَى الْيَوْمِ فِي عَالَمِ الثَّمَانِينِيَّاتِ بِنَفْسِ النَّشَاطِ وَالْقُوَّةِ
وَالْأَهْدَافِ وَالْحَيَاةِ..

وَهَا هُوَ مَشْرُوعُهُ الْيَوْمَ مَائِلٌ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، وَقَدْ مَلَأَ
اسْمُهُ الدُّنْيَا ذِكْرًا وَجَمَالًا، وَأَثَرًا وَتَارِيخًا، وَأَثَارُ هَذَا
الْمَشْرُوعِ الْيَوْمَ عَلَى الْأُمَّةِ أَكْبَرُ مِمَّا يَصِفُهُ قَلَمٌ.

- عبد الرحمن بن علي الجريسي: ومشروعه كذلك
«مَشْرُوعٌ مَالِيٌّ».. بَدَأَ مَشْرُوعَهُ فِي سَنِّ الرَّابِعَةِ
عَشْرَةَ، وَمِنْ ذَلِكَ التَّارِيخِ لَمْ يَتَوَانَ لِحِظَةً عَنْ بِنَاءِ
مَشْرُوعِهِ، وَالْمَضْيِ بِهِ إِلَى أَحْلَامِهِ الْكُبْرَى، وَمَا يَزَالُ
مَشْرُوعُهُ حَيًّا، وَتَارِيخًا شَاهِدًا عَلَى الْمَعَانَةِ، وَبِنَاءِ
الْأَهْدَافِ الْكُبْرَى فِي حَيَاةِ إِنْسَانٍ، وَالْعَيْشِ لِلْمَشْرُوعِ
كَالْعَيْشِ لِلْحَيَاةِ لَا فَرْقَ، وَهَاهُو مَشْرُوعُهُ يَسْهُمُ كُلُّ
يَوْمٍ فِي بِنَاءِ مَشْرُوعِ لِلْأُمَّةِ، وَيَكْتُبُ فِي مَدِّ خَطَوَاتِهَا
لِلْأَمَامِ.

• وعلى نَفْسِ الطَّرِيقِ: الجميعُ، والسَّبيعيُّ، وآخرونَ
بذلُّوا من سنامِ أوقَاتِهِم لمشاريعِهِم، وعاشوها رحلةً
في قلوبِهِم، وهتفوا لها هتافَ المحبِّ لحبيبه، ووجدوا
أثرَها واقعاً في نفوسِهِم، ورحلةً رائعةً في حياتِهِم،
وها هو التَّاريخُ يكتُبُ آثارَهُم بأجملَ ما يكونُ.

• عبدُ الرحمنِ السَّميْطُ: مشروعه: «مشروعُ دعويٍّ»
تركَ لأجلِهِ وطنَهُ الكويتَ وهوَ في مقتبلِ عمرِهِ،
ورحلَ لمشروعِهِ في بلادِ إفريقيَّة، ولا يزالُ هناكَ
عاكفاً على مشروعِهِ، حتَّى قيلَ في وَصفِهِ: «الرَّجُلُ
الَّذي غيَّرَ القارَّةَ»..

بدأَ يبحُثُ عن مشروعِهِ، ويلهثُ وراءَ تحقيقِهِ،
ويعيشُ أمله وهوَ في وطنِهِ الكويتِ، ثمَّ انطلقَ إلى
القارَّةِ السَّوداءِ، ومضتِ الأيَّامُ، وهاهو يعانقُ بطموحِهِ
المجدَّ، واليومَ يقفُ مشروعهُ على الأرضِ بعد أنِ
استوى على سوقِهِ، ولم يعدْ يعيشُ لحظَاتِهِ هو، وإنَّما
تعيَّشه أُمَّ الأرضِ، وتنفَّسه أجيالُ الأُمَّة، وقد بلغكَ
أنَّ إحدى النَتائِجِ لذلك المشروعِ اليومَ: إسلامُ ما
يزيدُ على ثمانيةِ ملايينِ إنسانٍ.

• الألباني رَحِمَهُ اللهُ: صاحب مشروع الحديث: «تحقيق

حديث النَّبِيِّ ﷺ».. أعظم المشاريع في العصر الحاضر، وأزكاها أثراً في حياة الأمة، وقد عاش مشروعه كل لحظات عمره، ولم يرحل من الدنيا حتى كتب هذا الأثر العريض الذي يعرفه من له علاقة بالعلم الشرعي من قريب أو بعيد.

• مشروع «قنوات المجد الفضائية» والذي يعدُّ باكورة المشاريع الإعلامية الكبرى على مستوى الأمة، حتى صارَ هذا المشروع اليومَ من أعظم المشاريع أثراً في صياغة عقول أبناء الأمة، وبناء توجهاتهم بناءً أصيلاً على قيم الإسلام ومعانيه الكبار.

• محمد يوسف سيدي: باكستاني الجنسية، نشأ في أسرة كافرة، ثمَّ أسلم وحسُن إسلامه، فأنكرت أسرته قرارَ إسلامه، فهجرته وأبعدته، فقرَّر أن يخوض غمار الحياة وحده، ودخل التجارة فكوّن له مالا كثيراً، وفكَّر في تكوين مشروع العمر..

فوجد ضالته في «تعليم كتاب الله تعالى أبناء المسلمين»..

فسافر من باكستان إلى مكة رغبةً في جلب معلمين لتعليم كتاب الله تعالى في باكستان، ولما وصل تفاجأ أنه ليس في مكة في ذلك الوقت جهة تُعنى بتعليم أبناء المسلمين كتاب الله تعالى، فراق له أن يبدأ مشروعه في جناب الحرم المكي، وأنشأ أول جمعية لتحفيظ القرآن بمكة المكرمة عام (١٣٨٢هـ)، وجلب لهذه الجمعية مئة معلم من باكستان.

ثم توجه بعد عامين من نشوء الجمعية في مكة المكرمة إلى المدينة النبوية، وأنشأ بها جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمدينة عام (١٣٨٤هـ) ..

ثم بعد مُضي عامين توجه إلى مدينة الرياض، وأنشأ بها جمعية تحفيظ القرآن الكريم عام (١٣٨٦هـ) ..

ورحل محمد يوسف سيتي ولقي ربه، وتواصل بعده ذلك المشروع في مدن المملكة العربية السعودية، وبلاد العالم الإسلامي، وما تراه اليوم من هذه الجموع المباركة من علماء وأئمة وخطباء وطلاب علم ورواد الإصلاح في هذه البلاد وغيرها؛

هي بعضُ ثمارِ صاحبِ المشروعِ محمد يوسف
سيتي^(١).

• محمد توفيق: «الرَّجُلُ المؤسَّسةُ» كما يصفه بعضُ
الكُتَّابِ، مشروعه: «دعوةُ غيرِ المسلمين إلى
الإسلام».. امتدَّ مشروعه إلى ما يزيدُ على السَّبعين
عاماً، وهو يواصلُ مشروعه.

بدأتُ فكرةُ المشروعِ لدى الرَّجُلِ ممَّا رآه من افتتانِ
العربِ والمسلمينَ بالأجانبِ، يقولُ: فإذا استطعتُ
أنْ أقتعَ هؤلاءَ الأجانبَ بالإسلامِ؛ أجبرنا المفتونينَ
بهم على الرُّجوعِ إلى عظمةِ ديننا، والالتزام به.

انطلقَ مشروعه، وكانت سياسته ألاَّ يتركَ من يبدأُ
بدعوته إلاَّ بعدَ أن يعلنَ الشَّهادتين، وكانت أقصرَ
مدةً للدعوة شهرانِ، وأطولَ مدةٍ خاضها سبعةَ عشرَ
عاماً، وواصلَ مشروعه، واستمرَّ فيه، وأسلمَ على
يديهِ إلى الآنَ أربعةَ آلاف، من هؤلاءِ قسيسٌ يعمل
أستاذاً للأدبِ في جامعةِ الفاتيكان، وقاضي جزيرة
سان مَوريس، والقائدُ الهولنديُّ (كلنجر)، الَّذي

(١) مجلة البيان، العدد (٢٥٣)، لكاتبه: خالد بن عبد الله الفوزان.

أَسْمَى نَفْسَهُ: (محمد توفيق كلنجر) تَيْمُنًا بِاسْمِ
صَدِيقِهِ مُحَمَّدٍ تَوْفِيقٍ..

وَنَاهَزَ مُحَمَّدٌ تَوْفِيقَ التَّسْعِينَ عَامًا مِنْ عَمْرِهِ وَهُوَ
لَا يَزَالُ يَنْوُو بِمَشْرُوعِهِ، وَيَحْلُمُ بِتَحْقِيقِ آمَالِهِ فِي
الْحَيَاةِ.

- وَثَمَّةٌ نَمَاجُ كَبِيرَةٌ وَكَثِيرَةٌ لَمْ يَكُنْ هَمِّي أَنْ أُنْقَلَ لَكَ
حُرُوفَهَا، وَإِنَّمَا هَمِّي كُلُّهُ أَنَّ أَرِيكَ بَعْضَ آثَارِ أَصْحَابِ
الْمَشَارِيعِ، وَهُمْ مِثْلُكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُمْ إِلَّا فِي الْأَمَانِي الَّتِي تَهْتَفُ بِالْقُلُوبِ، وَتَحْتَفُّ
بِالْأَرْوَاحِ، وَتُلْبِسُ الْأَجْسَادَ نَارًا تَتَّقِدُ، أَوْ لِحَافًا يَزْهُو
وَيَرْتَفِعُ.

* * *



صَفَحَاتٌ فِي عَالَمِ الْمَشَارِيعِ

المشاريعُ التي يمكنُ أن ينتسبَ إليها الإنسانُ كثيرةٌ،
ومختلفةٌ، ومتنوعةٌ، ويمكنُ لك أن تختارَ مشروعَكَ في
الحياةِ كما تريدُ، وسنعرضُ بعد ذلك لمواصفاتِ المشروعِ
الذي يناسبكَ.

لكنْ نعرضُ لك هنا بعضاً من المشاريعِ التي يمكنُ أن
تكونَ إضاءةً على طريقِ هذا العالمِ الفسيحِ في حياتِكَ
في مستقبلِ الأيامِ.

إنَّ ثمةَ مشاريعَ اجتماعيَّةَ يمكنُ أن تكونَ سهماً كبيراً
في حياةِ إنسانٍ، وشيئاً عظيماً في حياةِ مجتمعٍ وأمةٍ..

• منْ تلكَ المشاريعِ: إغاثةُ الفقراءِ، والمساكينِ،
والمعوقينِ، والأراملِ، والأيتامِ، وتفريجُ كربهم، وسدُّ

حاجتهم؛ وهو من أعظم المشاريع التي يقوم عليها الإنسان، ولو لم يكن في ذلك إلا قول النبي ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدَ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشَيْتَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَغْنِي: مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّيه أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ»^(١)؛ لكفاه أهمية وتحفيزاً..

- ومن تلك المشاريع: الإصلاح بين الناس، وسد ما بينهم من خلاف، وردم الهوة التي يصنعها الشيطان، ووأد الخلاف والنزاع، وسد ثغرات المجتمع، وجمع شمل المفترقين بكلمة صالحة، وجهد مبارك، وعمل دؤوب.
- وقد قال الله تعالى مباركاً هذا المشروع، وداعياً إليه همم الكبار: «لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج؛ والطبراني في الكبير والأوسط.

إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ
النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ
نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَتَمِّمًا لَذَلِكَ: «ألا أخبركم
بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟»
قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «صلاح ذات البين،
فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق
الشعر ولكن تحلق الدين»^(١).

- وَمِنْ تِلْكَ الْمَشَارِيعِ: أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ طَبِيبًا نَافِعًا
مَبَارَكًا فِي أُمَّتِهِ، وَيَتَوَلَّى سَدَّ فُرْصِ كِفَايَةٍ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ، وَيَكْفِيهِمْ أَثَرِ التَّوَلَّى عَنْ هَذِهِ الْوُضَائِفِ
الَّتِي لَا تَقُومُ مَصَالِحُ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِهَا، فَيَقُومُ عَلَى
رِعَايَةِ الْمَرْضَى، وَيَتَوَلَّى هَمُومَ النَّاسِ وَمَشْكَلاتِهِمْ
الصَّحِيَّةَ وَالنَّفْسِيَّةَ، وَيَقُومُ كَذَلِكَ عَلَى نَشْرِ ثِقَافَةِ الْعِلْمِ
الَّذِي يَحْمِلُهُ، وَيَكُونُ بِذَلِكَ دَرَعًا وَاقِيًا مِنَ الْأَمْرَاضِ
وَالْأَوْبَةِ، وَيَحْيِي فِي مَجْتَمَعِهِ وَوَطْنِهِ وَأُمَّتِهِ مَفْهُومَ
الصَّحَّةِ وَأَثَرَهَا فِي تَحْقِيقِ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ لِلنَّاسِ.

(١) رواه أبو داود: (٤٩١٩)؛ والترمذي: (٢٥٠٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

• ومن تلك المشاريع: أن يكون الإنسان مهندساً جاداً في رسالته، عظيماً في أمته، ويكون بذلك قدوة صالحة في حمل فروض الكفايات عن المسلمين، والقيام بحاجة الناس، وتحقيق الأمانة والدقة والعدل في عمل تقوم عليه مصالح المسلمين في كل لحظة.

• ومن تلك المشاريع: مشروع التعليم، وهو من أعظم مشاريع الأمة وأكثرها حيوية في بناء الإنسان وال عمران، وأكثرها أثراً في بناء الحضارة التي تليق بالإنسان كإنسان..

وإذا صحّت النية في مشروع كهذا نال به الإنسان خيرَي الدنيا والآخرة، وحاجة الأمة إليه أكثر من حاجتها إلى الطعام والشراب، ولو وجدت الأمة اليوم من يقوم على هذا المشروع ويرعاه، ويقوم بواجبه كما أريد له لتغير وجه الأمة، وعادت صانعة التاريخ والحضارات.

• ومن تلك المشاريع: مشروع التربية لأبناء المسلمين، والعناية بتخريج أجيال تفهم هذا الإسلام فهماً صحيحاً، وتقوم بحقه في العالمين.

والمشاريعُ التربويَّةُ بالذاتِ من أكثرِ المشاريعِ أثراً في تقدُّمِ الأُمَّةِ، وصناعةِ مجدها، وكتابةِ تاريخها؛ لأنَّه مشروعٌ يقومُ على بناءِ الإنسانِ، وإعادةِ تأهيله، وتطويره حتَّى يكونَ في موقعِ الحدثِ الَّذي تنتظره منه أُمَّته.

• ومنَ تلكَ المشاريعِ: مشروعُ دعوةِ الجالياتِ، وهو مشروعٌ يزيدُ في مساحةِ هذا الدِّينِ في الأرضِ، ويوسِّعُ من أثره، ويدفعُ به إلى أن يكونَ دينَ الله تعالى في الأرضِ لا دينَ سواه، وقد قال النبي ﷺ مبيناً أثرَ هذا المشروعِ: «لئنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»^(١).

• ومنَ تلكَ المشاريعِ: القيامُ على حفظِ كتابِ الله تعالى، وفهمه، وتدبُّره، وتعميمِ أثره في العالمينَ، وقد قال ﷺ: «خيرُكم منْ تعلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهُ»^(٢).

وسواءِ نصَّبَ الإنسانُ نفسه لهذا المشروعِ بأنْ جلسَ لأبناءِ المسلمين معلِّماً لكتابِ الله تعالى، أو قامَ على المشروعِ إدارةً ومتابعةً وإثراءً.

(١) رواه مسلم: (٢٤٠٦).

(٢) رواه البخاري: (٥٠٢٧)؛ والترمذي: (٢٩٠٩)؛ والدارمي: (٣٣٣٧).

• وقد يكون مشروع الإنسان مشروعاً إعلامياً يتولّى صياغة عقول الأمة على مفاهيم الإسلام، ويتولّى بناءها وتربيتها وتوعيتها بدينها ورسالتها في الحياة، سواء من خلال قنوات فضائية تقوم بهذا الدور، أو من خلال إنشاء مواقع ومنتديات تقوم بذات الدور في البناء.

• وقد يكون مشروع الإنسان ترجمة الكتب والمقالات والعلوم التي تقيّد الإنسان في حياته العلمية أو العملية.

• وقد يكون مشروع الإنسان بناء الأسرة المسلمة على منهج الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وإعدادها حتى تكون قادرة على حمل رسالتها، وتولي قضاياها بناء لها، ودفعاً عنها.

وإنني هنا أنبّهك أيّها القارئ الكريم أنّ مثل هذه المشاريع مجرد أمثلة، فإن كنت قادراً على بناء هذه المشاريع الكبرى في حياتك فليس لك أن ترضى بالدون من ذلك، وإن لم تكن قادراً على ذلك، فثمة مشاريع أخرى؛ وهي كثيرة كذلك تدعو

الإنسان للعمل والتَّضحيةِ والبناءِ على قدرِ تطلُّعه
لبناءِ مستقبله..

المهمُّ أن تحدّدَ مشروعَكَ في الحياةِ، ويكون مشروعاً
يستنفّرُ طاقَاتِكَ، وإمكاناتِكَ، ويستحوذُ على وقتِكَ،
ويستولي على فكركَ وعقلِكَ، وحياتِكَ كُلِّها، إنَّ هذا
النُّوعَ من الأعمالِ هي الأعمالُ التي يمكنُ أن نقولَ
عنها: مشاريع في حياةِ أيِّ إنسانٍ، لأنَّه لا يمكنُ أن
يتحوّلَ العملُ إلى مشروعٍ في حياةِ أيِّ إنسانٍ حتّى
يكونَ هذا العملُ أولاً عملاً يحتاجُ إلى جهدٍ وعناءٍ
وتعبٍ وجهادٍ، ثم يستنفّرُ كلَّ طاقاتِ الإنسانِ لبنائه
حتّى يقفَ على الأرضِ ويقالَ عنه بأنَّه مشروعٌ.



المشروع الذي يختاره الإنسان لنفسه ليكون مشروعاً العمرى في الحياة لا بد أن يكون مشروعاً مستوفياً للمواصفات التي تكون في أي مشروع، وحين يكون كذلك يمكن أن يقال عنه بأنه مشروع من جهة، ومن جهة أخرى يمكنك المواصلة فيه حتى يصبح نموذجاً كبيراً بين المشاريع المناظرة له في الأرض.

الصفة الأولى في المشروع، أن يكون مشروعاً يصل بين دنيا الإنسان وبين آخرته،

وهذا هو الأصل في حياة المسلم، ولم يكن بحاجة إلى بيان لولا هذه الفرقة التي يراها الإنسان في عالم الخلق.

وقد أطربني ما قاله محمد قطب في كتابه (قبسات من الرسول)؛ حيث قال: «أول ما يخطر على البال هو هذه العجيبَةُ التي يَتميّزُ بها الإسلامُ: أنَّ طريقَ الآخرةِ هو طريقُ الدُّنيا بلا اختلافٍ ولا افتراقٍ، إنَّهما ليسا طريقَيْنِ منفصلَيْنِ أحدهما للدُّنيا والآخرةِ للآخرةِ! وإنَّما هو طريقٌ واحدٌ يشملُ هذه وتلك، ويربطُ ما بين هذه وتلك، ليسَ هناك طريقٌ للآخرةِ اسمه العبادة، وطريقٌ للدُّنيا اسمه العملُ! وإنَّما هو طريقٌ واحدٌ أولُّه في الدُّنيا وآخرُه في الآخرةِ، وهو طريقٌ لا يفترقُ فيه العملُ عن العبادةِ، ولا العبادةُ عن العملِ، كلاهما شيءٌ واحدٌ في نظرِ الإسلامِ، وكلاهما يسيرٌ جنباً إلى جنبٍ في هذا الطَّرِيقِ الواحدِ الذي لا طريقَ سواه». اهـ.

إنَّ المشروعَ الَّذي يتبنَّاه الإنسانُ لنفسِه لا بدُّ أن يكونَ في حَسِّ صاحِبِه أولاً المشاركةُ والمساهمةُ على الأقل في بناءِ صرحِ الأُمَّةِ الكبيرِ، وحين يخلو ذهنُ الإنسانِ من هذا المعنى فلا مفروحَ بعملٍ يقدِّمُه، ولا هدفَ يركُضُ إليه، ولا حياةَ يجهدُ فيها بكلِّ ما يملك.

وحين تمضي دقائق الإنسان وأنفاسه ولحظاته في ذات المشروع، وتكون بنيتها وغاياتها أنفاساً تصب في مشروع الأمة العام؛ نكون بذلك كباراً وعظماء في تاريخ أمة الإسلام.

الصفة الثانية: أن يكون مشروعك الذي اخترته متوافقاً مع قدراتك وإمكاناتك؛

وهذه صفة مهمة جداً في مشروعك الشخصي، لا بد أن يكون هذا المشروع مشروعاً متوافقاً مع قدراتك وإمكاناتك كإنسان، وإياك أن تتقصر مشروعاً وتتبناه في حياتك وتجعله مشروعك العمري وأنت تشعر - ولو مجرد شعور - أنه ليس لك، ولا يتوافق مع قدراتك وإمكاناتك.. فإن فعلت فقد ضاع منك عمرك، وذهبت أيامك في غير فائدة.

تأكد بكل وسيلة أن يكون مشروعك الذي اخترته موافقاً لقدراتك وإمكاناتك، وفي إمكانك أن تنجح فيه، وهو الذي يوافق ميولك وحياتك ورحلتك في الحياة.

إن بعضاً من أصحاب المشاريع يدفعهم الفرح ببعض

المشاريع التي يرونها في الواقع، فيندفعون إلى تقليدها، ومحاكاتها، وجعلها مشاريعهم وواقعهم ورحلتهم في الحياة، ويفاجؤون في النهاية أنهم لم يصلوا إلى شيء؛ لأنهم في الحقيقة فعلوا شيئاً لم يكن لنفوسهم وأرواحهم منه شيء إلا التقليد فحسب.

الصفة الثالثة: أن تكون محباً لمشروعك؛

والحب يصنع الأعاجيب، وأي عمل تقبل إليه وأنت تحبه، وتجد لذته، وتشعر بسموه في قلبك، تجتاحه بكل مشاعرك، وتهفو إليه بكل أنفاسك، وتكتب فيه أروع اللحظات التي يكتبها إنسان في مشروعه على الأرض.

إنه لا يمكن لإنسان أن يخلق في عالم النجاح في مشروع وهو لا يجد له مساحة كبرى من الانتماء في قلبه، بل لا يمكن أن يصل إنسان للاستمتاع بمشروع في حياته أيّاً كان ذلك المشروع وهو لا يجد له مساحة عريضة من الحب..

وإني أنبئك أن تدفع بنفسك في مشروع لا علاقة

وجدانية لك به، مهما كانت الحاجة مُلِحَّةً، والمصلحةُ ظاهرةً، لأنَّ هذه المصلحةَ في النهاية قد تكونُ سبباً في تعويقِ مصالحِ كبرى، ونتائجُ عظمى كانتَ يمكنُ أن تكونَ لو لم تشغلُ بغيرها..

ويتضحُ بعدَ حينٍ من الزمنِ أنَّ المصلحةَ التي كُنَّا نتعلَّقُ بها مصلحةٌ وهميَّةٌ لا حقيقةَ لها إلا سدُّ الفراغِ، وإكمالُ النقصِ كمأً، ونسينا أنَّ نجاحَ الأمةِ في الكيفِ فَحَسَب.

الصفةُ الرَّابِعةُ: أن يكونَ مشروعُك مشروعاً مُمكناً في أرضِ الواقعِ؛

إنَّك حينَ تختارُ مشروعَكَ ينبغي أن تختارَ مشروعاً قابلاً للتَّنفيذ، وفي حيِّزِ الإمكان، وبين يدي قدرةِ الإنسانِ وإمكاناتِهِ..

فلا تختَرِ مشروعاً لا يمكنُ أن يكونَ له واقع في الأرضِ؛ إما لكبرِ حجمِهِ، أو لعظمةِ إمكاناتِهِ، أو لما يتطلبُهُ من أدواتٍ وأموال لا يمكنُ للإنسانِ بلوغُها أو الوصولَ إليها.

بل على الإنسان أن يختار مشروعاً كبيراً عظيماً مهماً
مؤثراً في الواقع، لكن يمكن أن يكون له واقع في الأرض،
وإن تطلّب مساحة من الجهد والعمل والتضحية والمال
والسفر والغربة.

على أنني أذكرك وأنت تتأمل في هذه الصفات
أنّها متكاملة، فلا يمكن أن تأخذ بعضها وتترك
بعضها الآخر، بل إن لم تتوافر هذه الصفات الأربع
كلّها في ذات المشروع الذي اخترته، فلن تهناً
بمشروعك يخطو على الأرض، ولن تفرح بتاريخ
تكتبه في الواقع.

وتأمل لو تخلّفت واحدة من هذه الصفات كيف يكون
مشروعك، وستعرّف على الحقيقة التي ذكرتك بها.





هل يمكن أن يكون للإنسان أكثر من مشروع في حياته؟

إن وجود المشروع في حياة أي إنسان هو أعظم الأدلة التي نرى من خلالها قدرة ذلك الإنسان على المشاركة في عالم الكبار، والقدرة على تحويل المثال إلى واقع في عالم الأرض..

وأنك لن تجد إنساناً يعيش مشروعاً في الأرض، ويجهد في بنائه، ويسعى في تحقيق غاياته؛ إلا أدركت أنك أمام إنسانٍ بحق.

إن فكرة المشروع في أساسها فكرة لا تقوم جذلةً قويةً متينةً إلا في حياة إنسانٍ متينٍ في الإرادة والقدرة والمبادرة

وروح المسؤولية بالدرجة التي مكنته من خوض الواقع بقوة؛ وسلطته على استثمار لحظات حياته بأروع ما يمكن.

فإذا كان المشروع على عظمة ذكره، وأثر واقع، وكثرة متطلباته؛ غير مُقْنِع لإنسان أن يكون هو الوحيد في واقع، وذكرياته، وآثاره، وتطلّع بشوق إلى مشروع آخر، أو مشاريع أخرى يسدُّ بها طاقاته، ويستثمر بها لحظاته، ويكتب بها تاريخه؛ لأنه يرى أنه أكبر من حجم مشروع في الأرض مهما بلغ أثره، فإننا نبارك له هذه التطلعات الكبرى في حياته، وندعوه أن يوسّع مساحة أثره في الأرض بأكثر من مشروع، لكن ذلك مشروط بشرطين:

الأول: أن تكون قدراته وطاقاته وإمكاناته قابلة لذلك، وتحتمل أكثر من مشروع؛

فإذا كان يملك هذه الطاقات، ولديه المساحة الكافية لتحقيق مساحةٍ أوسع، ويمكنه أن يمدَّ في أثر واقع وأُمَّته إلى الأفضل؛ فإن التحجير عليه وحصره في مشروع واحدٍ هدراً لهذه الجهود، وتضييعٌ لهذه القدرات، وإركاسٌ لهذه القوة الكامنة في نفس إنسانٍ إلى حضيض التوقعات الوهميّة.

الثاني: أن لا يؤثر كل مشروع على الآخر:

فإذا تمكّن إنسان من كل مشروعٍ بالقدرِ الكافي لإقامة ذلك المشروع، فلا مانع من أن يخلقَ بجهدِهِ، وعزيمتهِ في بناءِ مشروعٍ آخر، إلا أنني أنبهُ ذلك الإنسانَ ألا تكونَ المشاريعُ بعد ذلك مجردَ مسمياتٍ تتنازعُ وقته فيما بينها، وتتهافتُ على جهده، فلا يقفُ منها مشروعٌ واحدٌ بقوةٍ على الأرضِ، بل تبقى كلها غيرَ مستوثقةٍ من الأرضِ، وهذه الظاهرةُ تُرى بوضوحٍ في غالبٍ من تتوسّعُ لديه المشاريعُ، فمثلُ هؤلاءِ يُنصحُ لهم بأنْ يقبلوا على مشروعٍ واحدٍ يجمعون له طاقاتهم، ويجهدون على إنجازه حتى يكتملَ في الصورةِ التي يفرحُ به كلُّ من رآه.. فإنَّ كانَ ثمةَ قدرةٌ لدى ذلك الإنسانِ على أن يخلقَ بكلِّ مشروعٍ في الفضاءِ أثراً وحياءً؛ فلا أقلَّ من أن يدعى له بالتوفيقِ في كلِّ جهدٍ يقومُ به.

• ومنَ أعظمِ الأمثلةِ على تعدُّدِ المشاريعِ في حياةِ الكبارِ: عبد الله بن المبارك رحمته الله؛ كان مشروعاً في العلم، ومشروعاً في الجهاد، ومشروعاً في الصدقة، ومشروعاً في العبادة..

قال الذهبي: واجتمع جماعة من أهل الفضل يعدون خصاله رَحِمَهُ اللهُ؛ فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والفرز، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه. اهـ.

ولذلك قال سفيان رَحِمَهُ اللهُ: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك؛ فما أقدر ولا ثلاثة أيام. اهـ.

- ومن الأمثلة كذلك على أصحاب المشاريع المتعددة: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، فقد كان مثلاً حياً على تنوع المشاريع الكبرى في حياته، فقد كان مشروعاً ضخماً في العلم، ومشروعاً آخر في العبادة، ومشروعاً في الزهد، ومشروعاً في الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومشروعاً في الرد على الفرق المخالفة للدين، وكان في كل ذلك مثلاً حياً، وقدوة كبيرة، ومشاريع يعجز أن يقوم بها فتاًم من الرجال.

• ومن الأمثلة على ذلك: العَلَمُ ابنُ بازٍ رَحِمَهُ اللهُ، فقد كانَ مشاريعَ ضخمةً في حياةِ أُمَّتِهِ، فقد كانَ عالِماً بالحديثِ، ومفتياً لِعامَّةِ النَّاسِ وخاصَّتِهِم، وعابداً متميّزاً في ذلك الشَّانِ، وقائماً بجوائِجِ النَّاسِ في غالبِ شُؤُونِ حياتِهِم، وعلى مدارِ تسعينَ عاماً، كانَ كلُّ ذلكَ لم يتأخَّرَ عن تلكَ المشاريعِ إلا لمرضٍ يقعدُه عن العملِ.

* * *



كَيْفَ تَتَعَرَّفُ عَلَى مَشْرُوعِكَ؟



هذا سؤالٌ في غاية الأهميَّة، حينَ يَعْلَمُ الإنسانُ أهميَّةَ المشروعِ في حياته، وحينَ يسمَعُ الحديثَ عن المشروعِ تتوقُّ نفسه إلى معانقةِ هذا الأملِ في لحظةٍ، ويبحثُ عن كلمةِ المشروعِ بحثَ اللاهثِ عن الماءِ في يومِ صائفٍ، لكنَّهُ يعثُرُ قبلَ الوصولِ إليه، ويضنيه التَّفكيرُ، وتذهبُ عليه الأوقاتُ، وفي النِّهايةِ يعودُ كليلَ العقلِ والبدنِ، متحسِّراً أَنَّهُ لم يجدْ ضالَّته بعد..

ويبدأ السؤالُ المتكرِّرُ كلَّ مرَّةٍ من جديدٍ: كيفَ أتعَرَّفُ على مشروعِي؟..

فتعالَ معي هذه اللحظةَ أضعُ بين يديكَ معالمَ مشروعِكَ، وأبحثُ أنا وإياكَ عن أملكِ المفقودِ، وروحِكَ

الغائبة، وهتافك الكبير في الحياة.. تعال معي إلى
أحلامك وأمانيك ولحظاتك الكبرى في الحياة لحظة
بلحظة..

• تعال أحدثك عن أجمل كلمة في حياة إنسان،
وأروع كلمة في مسيرته.. كلمة المشروع..

قلتُ لك سابقاً: مشروع العمر: هو مشروع تتضح
في ذهنك أهدافه، وتستولي فكرته على فكرك وعقلك،
وتبذل له جميع طاقاتك.

وعلى هذا التعريف فلا بد أن يكون في مشروعك
الذي تختاره ثلاثة جوانب في غاية الأهمية والخطورة:

أول هذه الجوانب: أن يكون هذا المشروع الذي تختاره
من بين بقيّة المشاريع مشروعاً واضحاً لك، لا لبس
فيه، تعرف أهدافه، وتدرك أين تصل به في النهاية،

لا بد أن تكون أهداف هذا المشروع واضحة في ذهنك
كوضوح الشمس في رابعة النهار، لا يمكن أن تلبس عليك
أهدافه، أو تختلط عليك رؤيته، بل هو واضح جليّ، تسأل
نفسك في ساعة خلوة: لماذا هذا المشروع بالذات؟

فتساقُ نفسك للإجابة دونَ تكلفٍ أو هيبةٍ أو نزاعٍ نفسٍ:
إنَّه مشروعٌ واضحٌ لا لبسَ فيه..

فإذا وجدتَ أنَّ أهدافَ المشروعِ غيرُ واضحةٍ، أو
تلتبسُ عليك أحياناً، أو لا تستطيعُ أن تبينَ بجلاءٍ لمن
يسألك عن مشروعك؛ فأعِدِ التفكيرَ مرَّةً أخرى فلم
يكتملُ مشروعُك في نفسك بعدُ، وقد يكونُ ما أنت فيه
ليس مشروعك في الحقيقة..

ثانياً، أن تستوليَ فكرةُ هذا المشروعِ على فكرِكَ
وعقلِكَ،

بمعنى أنَّك تحبُّ هذا المشروعَ، وتجدُ له وَلهاً في
قلبِكَ للدرجةِ التي تشعرُ أنَّه يملكُ روحَكَ وكيانَكَ
وحياتَكَ كُلَّها.

إنَّ اللحظةَ التي تستوليَ فيها فكرةُ هذا المشروعِ على
قلبِكَ هي اللحظةُ التي تخبرُ عن ميلادِ ذلك المشروعِ
في حياتِكَ، وبدونِ ذلك لا زلتَ تبحثُ عن المفقودِ كعامةِ
النَّاسِ في الحياةِ.

لا يمكنُ أن نقولَ لك: إنَّكَ عثرتَ على مشروعك

الشَّخْصِيَّ إِلَّا إِذَا رَأَيْتَ أَنَّكَ تَحِبُّ هَذَا الْمَشْرُوعَ، وَتَعْشَقُ ذِكْرَهُ، وَتَوَدُّ أَنْ تَقْضِيَ سَاعَاتِ يَوْمِكَ كُلِّهَا فِيهِ، وَتَجِدُ أَثْنَاءَ الْعَمَلِ فِيهِ كُلَّ لَذَّةٍ، وَيَجْبُرُكَ عَلَى الْإِسْتِمْتَاعِ بِلَحْظَاتِهِ كَأَنَّهُ الْأَحْلَامُ الْغَائِبَةُ مِنْ حَيَاتِكَ.

تَسْتَوْلِي فِكْرَةَ الْمَشْرُوعِ عَلَى فِكْرِكَ وَعَقْلِكَ، فَتَظَلُّ حُرُوفَ وَكَلِمَاتِ هَذَا الْمَشْرُوعِ كَأَنَّمَا تَكْتُبُهَا بِرُوحِكَ، وَتَلْفَظُهَا مِنْ أَعْمَاقِ نَفْسِكَ..

لَنْ يَكُونَ مَشْرُوعُكَ مَشْرُوعاً حَقِيقِيّاً حَتَّى تَسْتَوْلِي فِكْرَةَ هَذَا الْمَشْرُوعِ عَلَى فِكْرِكَ وَعَقْلِكَ بِالْكُلِّيَّةِ، فَتَجِدَهُ يَأْخُذُ كُلَّ وَقْتِكَ فِي التَّفْكِيرِ وَالتَّأَمُّلِ، تَتَأَمَّلُ كَيْفَ تَبْدَأُ؟ وَكَيْفَ تَخْطُو فِي رَحِلَتِهِ؟ وَمَنْ أَيْنَ تَأْتِي لَهُ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ حُلْمُكَ فِيهِ حَقِيقَةً لَا خِيَارَ لَهَا إِلَّا الْمَثُولُ فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ.

إِنَّ مَشْرُوعَكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُولَدَ فِي نَفْسِكَ إِلَّا فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي تَجِدُ فِيهَا عَمَلاً تَنْسَاقُ لَهُ دُونَ شَعُورٍ، وَتَلْهَتْ وَرَاءَهُ دُونَ تَفْكِيرٍ، وَتَخْطُو خَلْفَهُ دُونَ تَأَمُّلٍ.. هَذِهِ اللَّحْظَةُ هِيَ اللَّحْظَةُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَبَارِكَ لَكَ فِيهَا وَجُودَ مَشْرُوعِكَ الشَّخْصِيَّ.

ثالثاً، أن تبذل له جميع أوقاتك،

فإذا وجدتَ عملاً من الأعمالِ في أيِّ مجالٍ، وكنتَ مستعداً تلك اللحظة أن تبذلَ فيه جميعَ أوقاتك، وتشعرَ في ذاتِ اللحظةِ بمتعةٍ وراحةٍ في ذلك الوقتِ؛ فهذه من دلائلِ عثوركِ على مشروعكِ الشخصيِّ..

إنَّ أوقاتنا لا يمكنُ أن تبذلَ بسخاءٍ إلا في عملٍ نحبُّه، ونجدُ في دقائقهِ المتعةَ والراحةَ، وحينَ نجدُ ذلك العملَ، وتمرُّ بنا تلك اللحظاتُ؛ فهي الدليلُ البينُ على ما نبحثُ عنه من سنواتٍ.

أن تكونَ مستعداً للتضحيةِ من أجلِ مشروعكِ بكلِّ ما تملكُ، تعطيهِ أولاً فكرَكَ في التفكيرِ، وجهدَكَ في النظرِ، وحياتكِ في التأملِ، ثم تصرفُ له وقتَكَ كُلَّهُ، وتمنحُه دقائقَ عمركِ، ولحظاتِ حياتكِ، وترى مع ذلك أن كلَّ ذلك أرخصُ ما يكونُ عندك، وألذُّ دقائقَ تمرُّ عليك في حياتكِ.. وهذه عندي أصدقُ بيِّنةٍ على أنَّك عثرتَ على مشروعكِ..

تبذلِ لمشروعكِ مآلك كُلَّهُ، تكونُ مستعداً للسفرِ من أجلِهِ، والسهرِ من أجلِهِ، والرحلةِ من أجلِهِ، ولزومِ المكانِ الَّذي يوجدُ فيه مشروعُكِ كأنَّما تلزمُ قلبَكَ بينَ جنبيكَ.

إذا وجدتَ عملاً بهذه المواصفاتِ الثلاثِ، فقد وجدتَ مشروعَكَ العمرِيَّ، ووجدتَ مشروعَكَ في الحياةِ، ووجدتَ مشروعَكَ الشَّخْصِيَّ، وعثرتَ على الأملِ الَّذِي لا زالَ عامَّةُ النَّاسِ يلهثونَ من أجلِ الوصولِ إليه.

وكلُّ عملٍ تنضمُّ إليه ولا تجدُ له هذا الحبَّ في قلبِكَ، والإقبالَ عليه بروحِكَ، ولا تشعرُ فيه بالمتعةِ الحقيقيَّةِ في نفسِكَ، والسُّرورِ في حياتِكَ؛ فليسَ بمشروعِكَ، توقَّفْ عنه الآنَ، وابحثْ عن السُّرِّ الضَّائعِ في حياتِكَ؛ فإنَّكَ لَمَّا تجدهُ حتَّى الآنَ.

إنَّ هذه الجوانِبَ الثلاثةَ قد تكونُ كافيةً لك في التعرفِ على مستقبلِكَ، ومشروعِكَ في الحياةِ، فإنَّ وصلتَ إلى مشروعِكَ من خلالها فأباركُ لك هذه اللحظاتِ ميلادَكَ كإنسانٍ في عالمِ الأرضِ، وأباركُ لأمتِكَ بدايتَكَ في كتابةِ رحلتِها الكبرى نحو عالمِ التَّحدياتِ.

فإنَّ لم تصلْ لمشروعِكَ، ولم تهتدِ إليه مع كلِّ ذلكَ، فتعالَ معي إلى الخطوةِ الثَّانيةِ لعلَّها تهديكَ إن شاء الله تعالى إلى أحلامِكَ القادمةِ.



كيف تتعرّف على مشروعك؟



٢

إنَّ اختيارَ مشروعِ حياتِكَ قرارٌ في غايةِ الأهميَّةِ، وهو من أصعبِ القراراتِ التي تتخذها في حياتِكَ، ولذلك لا بدَّ أن تعطيه وقتَكَ كُلَّهُ، وتمنحه تفكيرَكَ، وتأمُّلكَ كُلَّهُ..

إنَّني أدعوك في هذه اللحظاتِ للعُزلةِ، سافرْ إلى مكانٍ تجدُ فيه متعتَكَ، وتعثُرُ فيه على دقائقِ عُمرِكَ، أو اخرج من بيتِكَ إلى أيِّ مكانٍ يستقرُّ فيه ذهنُكَ، وتجدُ فيه راحتَكَ، وإذا رأيتَ أن تقفلَ جِوَالِكَ في تلك اللحظاتِ فافعلْ حتَّى لا تتعرض في أخرج لحظةٍ من عمركَ لقرارٍ تندمُ عليه طيلةَ حياتِكَ القادمةِ.

إذا وجدتَ هذا الفراغَ، وهذه اللحظاتِ من زمنك

فدوّن هذه الأسئلة في دفترٍ خاصٍّ، ثمّ أجِبْ على كلّ سؤالٍ منها:

السؤال الأول: ما اهتماماتك في الحياة؟.

السؤال الثاني: ما الأعمال التي تستمتع بها في حياتك؟.

السؤال الثالث: من الأشخاص الذين أعجبت بهم في حياتك؟.

السؤال الرابع: لِمَاذَا أُعْجِبْتَ بِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ؟.

السؤال الخامس: مَا أَسْعَدُ لِحَظَاتِ حَيَاتِكَ؟.

السؤال السادس: مَا أَهْمُ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ فِي حَيَاتِكَ؟.

السؤال السابع: مَا أَهْمُ أَعْمَالِكَ الَّتِي تَقُومُ بِهَا يَوْمِيًّا؟.

السؤال الثامن: ما أهم ثلاثة أمور في حياتك على الإطلاق؟

السؤال التاسع: لو خُيرت بين أعمالك اليومية؛ ما العمل الذي لن تتخلى عنه؟

السؤال العاشر: ما أهم نقاط قوتك؟

السؤال الحادي عشر: ما مهاراتك ومواهبك التي تملكها؟

السؤال الثاني عشر: ما الأمنية التي تهتفُ بقلبك كلَّ لحظة؟.

السؤال الثالث عشر: لو دُعيتَ إلى مكتبةٍ أو معرضٍ؛
ما الرُّكنُ الذي يستحوذُ على وقتك؟.

السؤال الرابع عشر: لو فُتحَ لك موقعٌ على النت أو
مدونةٌ ماذا ستكتبُ فيها؟.

السؤال الخامس عشر: لو اتَّصلَ بكَ صديقٌ لتقدِّمَ
له برنامجاً تدريبياً، أو تُلقِي له موضوعاً؛ ففي أيِّ
مجالٍ ستحدِّثُ؟.

السؤال السادس عشر: ماذا تريدُ أن تكونَ بعدَ عشرينَ
سنةً قادمةً من حياتك؟.

السؤال السابع عشر: ما المجالُ الذي تؤدُّ أن تُعرفَ به
بينَ الناسِ، وتتميِّزُ به في حياتك؟.

السؤال الثامن عشر: في آخر اللحظات من عمرك..
اكتب عن مشروعك الذي تتركه قائماً بعد موتك؟

قد تأخذ منك هذه الأسئلة يوماً واحداً، وقد تأخذ
منك أسبوعاً كاملاً، وقد تزيد على ذلك فتصل إلى شهر؛
لأنها أسئلة تحدّد رحلتك في الحياة، وتعيّنك في العثور
على مشروعك، وتكتب ميلاد حياتك من جديد في عالم
الأرض.. ثم بعد أن تنتهي من الإجابة عليها كلها.. أعد
التأمل فيها من جديد، هل إجابتك هذه كافية وافية فعلاً؟

فإن عثرت منها على مشروعك الشخصي فتلك الأحلام
الغائبة عثرت عليها، وتلك الآمال التي تبحث عنها وصلت
إليها، فإن لم يكن ذلك، ولا زال مع كل ما فعلت يغيب
عنك مشروعك الشخصي في الحياة.. ولم تهتد إليه بعد،
فتعال معي إلى آخر خطوة، لعلها توضح لك الطريق،
وتبين لك عن ذلك المفقود الكبير في عالم الحياة.



كيف تتعرف على مشروعك؟

٣

إنني أعذرك في هذا التحير الملازم لك، وأقدر لك
ترددك الكبير في اختيار مشروعك العمري؛ فذلك قرار
في غاية الخطورة على مستقبلك، وأثرك في الأرض بعد
ذلك..

أدعوك هذه اللحظة أن تأخذ قلمك مرة أخرى، وتدوّن
الأعمال والمشاريع التي تمارسها أو تحبها وتجدر رغبة
في المشاركة فيها، سجلها على ورقة بخط واضح وكبير،
ثم علقها على منزلك، أو ضعها على سطح مكتبك، أو
على شاشة حاسبك الشخصي، أو على لوحة في البيت أو
حتى في غرفة النوم، المهم أن تكون تلك المشاريع تحت
نظرك كل لحظة تراها، وتنظر إليها، وتميز بينها، وترى

أين يهفو قلبك؟ وأين تجدُ روحك؟ وما المشروعُ الذي
تجدُه يستحوذُ على قلبك أكثرَ من غيره؟.

إنَّك حينَ تعرضُها أمامَ نظرك كما تفعل الآن لا تبقي
خياراتٍ مفتوحةً في عقلك، وإنَّما تحصرُ عقلك ونظرك
في هذه المشاريعِ بالذَّاتِ، وهذا يعطيك فرصةَ المقارنَةِ
والاختيارِ، فإنَّ وجدتَ ما تريدُ، وتحقِّقُ لك ذلك؛ فهنيئاً
لك تحقِّقُ حلمك، والوصولَ إلى مشروعك، وإن لم تجدُ
ذلك فشاوِرْ من تعرفُ من زملائك، من تثقُ فيه وتعرفُ
قدرتهُ على حسنِ الاختيارِ، وكلَّما كانَ مَنْ تشاوِرُ أعرفَ
بقدراتك وألصقَ بك، وأعرفَ بالمشروعِ في الحياةِ وأثره
في حياةِ الإنسانِ؛ كلَّما كانَ أقربَ بإذنِ الله تعالى إلى
الصَّوابِ، وألصقَ بالحقِّ من غيره.

إذا لم يتَّضحْ لك شيءٌ فقابلْ من تثقُ به من المدربين،
والمستشارين من أهلِ الثَّقةِ والخبرةِ والمراسِ والعلمِ
والعملِ والقدرةِ على حسنِ الاختيارِ، فقد يكونُ من بين
هؤلاءِ من يوصلُك بالأملِ، ويدفعُكَ للتعرفِ على الحقيقةِ،
ويوقفُكَ على جوانبِ في الاختيارِ قد تخفى عليك.

فإن لم تهتدِ إلى مشروعك بعدُ فيمكنُك أن تلتقي

بأصحابِ المشاريعِ الَّذِينَ لهم تجربةٌ عريضةٌ، ونجاحٌ ملموسٌ في مشروعات حياتهم، وتناقشهم كيف اختاروا مشروعاتهم؟ وكيف تعرّفوا عليها؟ وكيف وصلوا إليها؟ وما السُّبُلُ الَّتِي سلكت بهم هذه المشاريعُ حتَّى جعلتهم كباراً؟.

وأوصيكَ مع كلِّ ذلك بأن تنطرحَ بينَ يدي اللهِ تعالى أولاً، وتدمنَ دعاءه، وتطيلَ الوقوفَ بينَ يديهِ، وتخترَ لله تعالى ذليلاً حقيراً لا تملكَ خياراً لنفسك إلا بعد توفيقِ اللهِ تعالى، وهدايته لك، وتخيرَ في ذلك أوقاتَ الإجابةِ من السَّحَرِ أو في ساعةِ الجمعةِ، أو لحظاتِ السُّجودِ أو في الخلواتِ، مع حُسْنِ الرَّجاءِ في اللهِ تعالى، وأنَّه سيفتحُ لك ما أغلقَ عليك.

وحاولْ مع كلِّ ذلك أن تستخيرَ الله تعالى، فإن تحقَّقَ لك شيءٌ وإلا كرِّرْ هذه الاستخارةَ، وإذا علمَ الله تعالى صدقك، وحسنَ إقبالك، وعظيمَ رجائك فيه، وتطلُّعك إليه، وأملكَ فيه، وضعفك بين يديه، وتذلُّلك في لحظاتِ دعاؤك؛ فتحَ الله تعالى عليك، فيسرَّ لك أمنيَّتَكَ، وأبانَ لك مشروعَكَ، وتحقَّقَ لك كلُّ ما تريد..

وأعدك بعد كل ذلك ثقةً في الله تعالى أن تجدَ
مشروعك الذي بحثت عنه، وأن تلقى أمنيّتك التي تهتفُ
بها، وأن تخالطَ قلبك ولأوّل مرّةٍ مشاعرَ الفرح كأنّها
أسعدُ لحظاتِ قلبك في الحياة كلّها..

أما إنني لو كنتُ عندك في هذه اللحظة لعانقتُك عناقَ
عيدٍ، ولهنّأتُك تهنئةً نجاحٍ عريضٍ، ولباركتُ لك من كلّ
قلبي هذه الفرصة التي تحققت لك، وهذه الأمانة التي
عثرتَ عليها بعد طولِ بحثٍ وعناءٍ..

وإذا لم يكن عونٌ من الله للفتى
فأولُ ما يجني عليه اجتِهاده

* * *

كيف تبدأ مشروعك؟

لعلك وصلت بحمدِ الله تعالى إلى معرفة مشروعك في الحياة، وعانقت آمالك في الدنيا، ووجدت المفقودَ الكبيرَ في حياتك، إنها والله لحظاتٌ ممتعةٌ في حياة كلِّ إنسانٍ وجدَ ضالته بعد فقدها، وراها بعد بُعدها، وعانقها بعد حنينِ الأيام، فيا لها من لحظاتٍ في حياة كلِّ إنسانٍ.

إنَّ اللحظةَ التي يجدُ فيها الإنسانُ مشروعَهُ في الحياة هي اللحظةُ التي يجدُ فيها روحه وأمله وحياته كلها.. اللحظةُ التي يشعرُ فيها أنه خليفةُ الله تعالى في الأرض، ووريثُ الرُّسلِ الكرامِ بصدقٍ.. وليس لهذه النعمة من شكرٍ إلا أن تخرَّ لله تعالى ساجداً؛ تشكره على آلائه، وتحمده على توفيقه، ثم تبدأ الرحلةَ العمليةَ لمشروعك في الأرض.

ولعلَّكَ تسألُ: كيفَ تبدأ؟ ومِنْ أَيْنَ؟ وماذا تفعلُ في بدايةِ الطريق؟ وما أولُ خطوةٍ في المشروع؟ وكيفَ تحقِّق مشروعَكَ واقعاً في الأرض؟..

وها أنذا أدلُّكَ بما يفتحُ الله تعالى به في هذا المقام، مباركاً لك مشروعَكَ أولاً، داعياً لك فيه بالتَّوفيقِ في الدَّارين.

التخطيطُ لمشروعِكَ هو أولُ خطوةٍ في الطريق تضمَّنُ لك بعد توفيقِ الله تعالى أن يكونَ مشروعُكَ واقعاً عملياً بعد أن كانَ معرفةً نظريَّةً..

ويكونُ التخطيطُ فاعلاً ومؤثراً حين ينطلقُ من المرتكزاتِ التالية:

أولاً: تحديدُ رؤيتِكَ:

أي وضعِ الصُّورةِ النَّهائيَّةِ لمشروعِكَ.. ماذا تريدُ أن تكونَ في النَّهاية؟ ما الغايةُ الكبرى من مشروعِكَ؟ ما نقطةُ النَّهايةِ التي ترسمُها لمشروعِكَ؟.

خُذْ ورقةً، أو افتحْ حاسوبَكَ الشَّخصيَّ واكتبْ هذه العبارة:

- بعد خمسين سنة من الآن ستكون نتائج مشروع
في الأرض كما يلي:

أعدّ قراءة هذه النهائية، تأملها، كرّر قراءتها، قلبها
في فكر مرّاتٍ، حاول أن تجعل لها وقتك كله، قد تحتاج
منك إلى تعديلٍ، أو تغييرٍ، أو اختصارٍ، أو تفصيلٍ، افعل
فيها ما تشاء..

المهم في النهاية أن تستطيع أن تصل إلى العبارة
التي تكون هي رؤيتك لمستقبلك، والصورة النهائية
لمشروعك، وأحلامك الواقعية في الأرض بعد عشرات
السنين.

إذا وصلت إلى تصوّر هذه الرؤية بقناعة تامة،
ورضيت عنها نفسك بالكلية، فاكتبها بخط جميل، ثم
اجعلها خلفية لحاسوبك الشخصي، في صورة مكبرة في
مكتبك، أو مكتب، أو في غرفة نومك.. ثم ضعها شعاراً

في مفكرتك اليومية، واجعلها تصبحك في جيبك، أو
محفظتك كل وقت، وبهذا تكون أمسكت بالبداية والنهاية
في وقت واحد، وعرفت طريقك بوضوح، ورسمت قمتك
كأنها اليوم أو تكاد.

**ثانياً، حدد وضعك الحالي الذي وصلت إليه في
مشروعك؛**

أين أنت هذه اللحظة من مشروعك؟.. من الضرورة
أن تعرف الآن هل أنت في بداية المشروع؟ أو قد بدأت
في خطواته الأولى؟ ونؤكد عليك هذا حتى تعرف كم
تحتاج من خطوات للنهاية؟ ومن أين ستبدأ؟ ومتى
ستصل؟.

أنت بحاجة في هذه النقطة أن تسأل نفسك: كم
يحتاج منك مشروعك من الوقت؟ كم مقدار المال الذي
يقوم به المشروع في البداية؟ هل البيئة التي أنت فيها
مناسبة لنجاح المشروع، أو لا بد من الانتقال إلى مدينة
أخرى؟.

إن تحديد وضعك الحالي بالغ الأهمية في نجاح

مشروعك في المستقبل، وحين تخطئ تحديد وضعك،
أو لا ترسمه بدقة، أو لا تعطيه عناية كبيرة قد يخل
تخطيطك كله، ويضيع مشروعك في النهاية دون
جدوى.

ثالثاً: ارسم أهدافك بدقة :

إنَّ أهمَّ ما في عملية التَّخطيطِ كلها أن ترسمَ
أهدافَ المشروعِ بشكلٍ واضحٍ، بحيثُ يتحرَّكَ المشروعُ
كلَّ يومٍ، بل كلَّ لحظةٍ وفقَ أهدافٍ مرسومةٍ، ومنهجٍ
واضحٍ، وزمنٍ محدَّدٍ، وإلا صارَ المشروعُ فارغاً من
حقيقتهِ كمشروعٍ.

سبقَ فيما مضى أنَّك وضعتَ رؤيتَكَ النهائيَّةَ
لمشروعِكَ، وأين ستصلُ فيه؟ وماذا تريدُ أن تكونَ
بعدَ خمسينَ سنةً قادمةً من عمرك؟ فلا يلتبسَ عليكِ
الأمرُ وتمتزجَ عليكِ الرؤيةُ بالأهدافِ، لأنَّ الرؤيةَ شيءٌ
هامٌّ ترسمُ نهايتَكَ الكبرى لمشروعِكَ.. والأهدافُ هي
الخطواتُ التي توصلك لعناقِ تلكِ الرؤية.. وهذه مسألة
دقيقةٌ ينبغي ألا تفوتك، لأنَّ كثيراً من أصحابِ المشاريعِ

يخلطونَ بين الرؤيةِ والأهدافِ، فيرونها شيئاً واحداً، وهي تختلفُ، فالثانية وسيلةٌ للأولى.

اكتبْ أهدافَكَ التي تحقِّقُ لكَ رؤيتَكَ، ويمكنك أن تقسِّمَهَا على المدةَ الزمنيةَ، فتكون منها أهدافٌ قريبةُ المدى، وأهدافٌ متوسطةُ المدى، وأهدافٌ بعيدةُ المدى، فالأولى على عامٍ واحدٍ، والثانية على خمسةِ أعوامٍ، والثالثة على أكثر من ذلكَ، على أن تكونَ الأهدافُ في نهايتها تمثلُ الرؤيةَ العامةَ التي تطمحُ إليها، ويكتملُ بها المشروعُ في حياتك.

رابعاً: اكتبْ خُطَّتَكَ:

إنَّ الخطةَ التي نتحدَّثُ عنها هنا هي وضعُ الأهدافِ التي توصِّلُكَ إلى رؤيتِكَ النهائيةِ في جدولٍ زمنيٍّ، ثم يتمُّ العملُ عليها بتحديدِ الوقتِ المناسبِ لها، والزمنِ الذي ستقضيه فيها.

وهذه الخطةُ يمكن أن تتمَّ وفق سبعِ مراحلٍ حتَّى تصلَ فيها إلى تحقيقِ مشروعِكَ في النهاية، وهذه المراحلُ كالتَّالي:

١ - كتابة الهدف العام:

وهذا الهدف العام قد يمثل المشروع كاملاً، وقد يمثل جزئية من المشروع، فلو كان مشروعك كله (حفظ القرآن الكريم) لكان الهدف العام يمثل المشروع بالكلية، أما لو كان الهدف (العلم الشرعي)؛ فقد يكون الهدف العام في هذه الحالة يمثل جزئية من المشروع، وخطوة من خطواته.

٢ - تحديد مجموعة من الأهداف المرحلية التي تحقق الهدف العام:

وهذه الأهداف المرحلية تضغط الهدف العام الذي نصبته لنفسك إلى زمن محدد يتم فيه، وتعرف أنك وصلت إلى نهايته، ودون هذه الأهداف المرحلية قد لا تتمكن من معانقة الهدف العام، بل يظل تائهاً لا نهاية له.

٣ - تحديد مجموعة من الأهداف الإجرائية التي تحقق الأهداف المرحلية:

الأهداف الإجرائية هي الخطّة العملية للهدف المرحلي، والمرحلة الزمنية لعمر ذلك الهدف، وهي

إجراءاتٌ وآلياتٌ وطرقٌ تنصبُّ للسَّيرِ عليها، والعملِ فيها لتدفعَ في النِّهايةِ بالمَشروعِ إلى غايتهِ.

٤ - وضعُ الأهدافِ الإِجرائيةِ في برنامجٍ زمنيٍّ توضُّحُ فيه الأعمالُ بمواعيدها:

أي تَضَعُ أمامَ كُلِّ هدفٍ وقتَهُ وزمنَهُ.

ويمكُّنُكَ قراءةُ هذا النموذجِ العمليِّ لمشروعِ حفظِ القرآنِ الكريمِ، وهو مخطَّطٌ يمثِّلُ وضعَ الأهدافِ الإِجرائيةِ في برنامجٍ زمنيٍّ توضُّحُ فيه الأعمالُ بمواعيدها، ويعرفُ كُلُّ هدفٍ منها زمنه ووقت نهايته.

الأهدافُ العامَّةُ	الأهدافُ المرحليةُ	الأهدافُ الإِجرائيةُ
أن أحفظَ القرآنَ الكريمَ	حفظُ القرآنِ الكريمِ في خمسِ سنواتٍ بمعدلِ (١٢٠) صفحةً كُلَّ عامٍ	يبدأُ الحفظُ في شهرِ رمضانَ أحفظُ صفحةً كُلَّ يومٍ من أيامِ الأسبوعِ يوماً الخميسِ والجمعةِ مراجعةً للمحفوظِ يخصَّصُ للحفظِ يومياً ما بينَ المغربِ والعشاءِ

هـ - وضع خططٍ بديلةٍ توصلُ إلى الهدفِ العامِ في حالةٍ عدمِ تحققِ بعضِ الأهدافِ المرحليَّةِ والإجرائيَّةِ؛ وهذه الخططُ البديلةُ تكونُ في الأهدافِ الإجرائيَّةِ، تحافظُ على الأهدافِ العامَّةِ والأهدافِ المرحليَّةِ من الإعاقةِ.

ولو تأملتُ في الأهدافِ الإجرائيَّةِ في المثالِ السَّابقِ في مشروعِ حفظِ القرآنِ الكريمِ، لوجدتُ أنَّكَ تحفظُ كلَّ يومٍ صفحةً من القرآنِ، فإنَّكَ تضعُ خطَّةً بديلةً في المقدارِ، وفي الزَّمنِ، فإذا أعيقَ زَمَنُ ما بعدَ المغربِ في هذا المثالِ؛ فإنَّكَ تضعُ وقتاً بديلاً له في ذاتِ اليومِ، أو في اليومِ الثَّاني، وتزيدُ في مقدارِ الحفظِ من صفحةٍ إلى صفحةٍ ونصفٍ على يومينِ، أو صفحتينِ على يومٍ قادمٍ، أو تمدُّ في الحفظِ في يومي الخميسِ والجمعةِ، وتجعلُ المراجعةَ في الأسبوعِ الَّذي يليه، وهكذا...

وقد تكونُ الخطَّةُ البديلةُ في الأهدافِ العامَّةِ أو المرحليَّةِ، فتعدُّ خطَّةً أخرى مقارنةً للخطَّةِ الأصلِ تزيدُ فيها المدةَ شهراً أو عاماً آخر، وتصلُ في النِّهايةِ إلى مقصودِكَ ولا يتعثَّرُ المشروعُ بالكلِّيَّةِ.

٦ - التنفيذ:

وهي المرحلة التي يبدأ فيها صاحب المشروع عمله، وينطلق في تحقيق مشروعه، ويجهد في بنائه إلى لحظة اكتماله، وهذه المرحلة هي صلب الموضوع، ورأسه، وذروة سنامه، وغايته..

وهي المرحلة التي يخفق فيها عالم التخطيط عند كثير من الناس مع كل أسف، وكم من إنسان أدرك عظمة التخطيط وأثره في النجاح، وخطط ورتب واستهلك أوقاته في كتابة تلك الخطط الكبيرة، ثم صارت ورقاً ضائعاً لا رصيد له في حياته، وقد تشبّع بالتخطيط في الظاهر، وهو مسلوب من كل أثره في الداخل..

فهذه المرحلة هي أعظم خطوات التخطيط أثراً، وهي حياة صاحب المشروع، وعرقه وجهده ونضاله في الكفاح من أجل إثبات حقيقته في الأرض.

٧ - المتابعة والتقويم:

وهي مرحلة كذلك من أخطر المراحل وأهمها أثراً في نجاح المشروع، ولهذا قد تستنفر كل طاقاتك في بناء

الأهداف، ورسمها، والتخطيط لها، وتبدأ مرحلة التنفيذ، ثم تكون عملية التخطيط كلها فاشلة لا أثر لها، لأنها لم تخضع للتقويم، وتكون تلك اللحظة كالذي لم يكتب حرفاً واحداً في التخطيط، لأن ما فعلته في بناء الخطّة إذا لم يخضع لتقويم أسبوعي، وشهري، وسنوي؛ فإنه يفشل كأنك لم تخطّط للموضوع من أصله.

وقد يتحوّل مشروع حفظ القرآن الكريم - كمثال - من خمس سنوات إلى عشرين سنة دون أن يشعر صاحبه، وقد لا يصل إلى المشروع بالكلية، وهذا في الغالب الأعمّ.

وعلى هذا فهذه المرحلة مهمة جداً، وهي المرحلة التي ستكشف لك في كل لحظة عظمة مشروعك وأهميته، أو فشله وضياعه وذهاب أثره.

المشاريع الفردية والمشاريع الجماعية



بعد كل هذا الطرح قد يتساءل إنسان: ماذا تعنون
بالمشروع؟

هل مشروع الإنسان لا بد أن يكون فردياً؛ هو الذي
يقيمه ويتولاه بالسُّقيا والمتابعة، وهو صاحبه في كل
لحظاته؟ أو يمكن أن يكون مشروع الإنسان مشروعاً
جماعياً، بمعنى أن يكون مشاركاً في مشروع يقيمه
مجموعة من الأفراد، كأن يكون شريكاً في مشروع
جمعيات أو مؤسسات تربوية أو اجتماعية أو دعوية؟..

وبياناً لهذا يقال: قد يكون مشروع الإنسان مشروعاً
فردياً؛ هو الذي يضع أهدافه، ويقوم على رعايته، ويتولاه

في كل لحظاته حتى يقوم ويثمر ويقوى عوده، ويكتمل بناؤه، وحينئذ يكون الإنسان قد أقام مشروعاً كبيراً، وقدم لأُمَّته ما تتمناه منه من خلال تلك الجهود المتكاملة التي كوّنت لبنة المشروع في البداية، ورعته حتى أثمر ووصل إلى النهاية.

وقد يكون مشروع الإنسان مشروعاً جماعياً؛ كالعمل في مؤسسة يديرها أفراد، لكن ثمة شرطاً يعطي عملاً دليلاً على عمقه، ويكون له به صفة صاحب المشروع؛ وهو أن يكون هذا العمل الذي تديره في مؤسسة تشعر بأهميته، وقوته وأثره في رسالة المؤسسة، وتجد أن العمل الذي تنظم به في المشروع العام يستهويك أولاً، فتجد له مساحة في القلب، وتجد لذة له في العمل، وتجد كذلك يستفرغ طاقاتك كلها أو جلّها، وتشعر المؤسسة في النهاية أنها تقوم بك عضواً صاحب مشروع، كما تقوم بالرئيس العضو الأكبر في المشروع، سواء بسواء لا فرق في ذلك.

إذا كنت كذلك في المشروع المؤسسي؛ فأنت تقوم بمشروع ولو كنت منضوياً في مجموعة من الناس يساعد

بعضكم بعضاً في اكتمال صورة المشروع، والابتهاج به
في نهاية الرحلة كأحسن ما يكون.

وهذا بحمد الله تعالى أوضح ما يكون في كثير من
المؤسسات التربوية والاجتماعية والدعوية التي تمثل
نماذج المشروعات الجماعية، وتقدم في صورتها النهائية
أعظم النفع لأمة الإسلام.

وحتى المشاريع العلمية تأخذ في غالبها منحى فردياً
في صور لا تُحصى؛ في صور العلماء في قديم الزمن
وحديثه، وبعضها تأخذ صور الجماعة؛ وهي مشروعات
كثيرة جداً تتأبى على الحصر لكثرتها.



إنَّ أيَّ مشروعٍ في الحياةِ نصبَ الإنسانُ له نفسه،
وأقبلَ عليه إقبالَ الرَّاغبِ الظَّمآنِ على الماءِ الباردِ في
يومِ صائفٍ، وتمسَّكَ به تمسُّكَ المُحبِّ، وقد اختاره بناءً
على قدراته، وإمكاناته، وميوله، ثمَّ يذهبُ ببذلٍ في سبيله
كلُّ ما يمكنُ لإنجازه، وتحقيقِ آثاره في النهايةِ لا بدَّ أن
يعانقَ نتائجه، ويجدَ لذاته، ويصلَ إلى لحظاته الأخيرة
وهو يراه مستقرًّا في الأرضِ بعدَ أنْ لم يكنْ شيئاً يُذكرُ،
هذا هو الأصلُ، وهذه هي السُّننُ المتَّفِقُ عليها في عالمِ
الخلقِ، ولا يخرجُ منها إلا شيءٌ يسيرٌ يكونُ في حكمِ
النَّادرِ والشَّاذِّ.

إنَّ مشروعَكَ الَّذي نصبتهُ لنفسِكَ، وتعبتَ في تعيينه
وتحديدهِ لا ينبغي أن يغيبَ عن عينِكَ لمشروعٌ آخرَ عَرَضُ

في الطريق، أو جادَ به حديثُ مجلسٍ من المجالس،
وإنني أذكرك هنا أنَّ المسألة مصيرٌ، وعمرَ الإنسانِ
محدودٌ، ولا ينبغي لعقلٍ أن تُطوى أيَّامَ حياته، وهو
متردّدٌ في اختيارِ مشروعه، بل عليه أن يكونَ شجاعاً في
تحديدِ مشروعه، بعد أن يتعرّفَ على قدراته ومواهبه،
ثمَّ إذا وضعَ له ذلك المشروع؛ عليه أن يستنفذَ كلَّ ما
يمكنُ من الوسائلِ في النّجاحِ، والوصولِ إلى النّهايةِ الّتي
رسمها لذلك المشروع.

فإن فعلتَ واستعصى عليك منالُ ما رسمتَ له،
وخطّطتَ من أجله، وبذلتَ لوصولهِ؛ لخطأً في التّخطيطِ،
أو عجلةً في القرارِ، أو لحيثياتٍ لا بسببِ المشروع بعد
ذلك؛ فإنّ الحكمةَ تقتضي أن تعيدَ تصوُّرَ مشروعٍ آخرَ،
وتبذلَ فيه كلَّ ما يمكنُ للنّجاحِ.

إنني أدركُ تماماً أنَّ ثمةَ خسارةَ بنتها العجلةُ، أو عدمُ
الدّقّةِ في الاختيارِ، أو مشورةٌ لا معرفةً لصاحبها بواقعك
الشّخصيِّ، فتكونُ المكابرةُ على ذاتِ المشروعِ خسارةً
إضافيّةً على الخسارةِ الأصلِ، ولذلك من الممكنِ لك
أن تتحوّلَ إلى مشروعك القادمِ شريطةَ ألا يكونَ الدّافعُ

للتَّحوِيلِ من المشروعِ الأَصْلِ إلى غيرِه بَنَتُهُ العَجَلَةُ كذلك،
أو أَثَرَتْ فِيهِ نَظَرَةُ النَّاسِ وَحَدِيثُهُمْ حَوْلَ ضَعْفِ المشروعِ
وعدمِ وجودِ ثَمَرَةٍ لَهُ كَمَا تَتَطَلَّعُ أَنْتَ لَهَا، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ،
فَسَتَكُونُ مَعَ الْأَيَّامِ شَبِيهَاً بِالْحَلَقَةِ الْمُفَرَّغَةِ تَدَوُّرٌ لَا فَائِدَةَ
فِيهَا.

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ رَسَمُوا لَهُمْ مشروعاً في الحياةِ
وَبَدَّوْا فِيهِ، وَقَطَعُوا فِي الْعَمَلِ فِيهِ زَمَنًا طَوِيلًا وَصَلَ
بَعْضُهُمْ فِيهِ إِلَى سِنَوَاتٍ، ثُمَّ رَأَوْا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا حِيلَةَ
فِي الْإِسْتِمْرَارِ، وَلَا رَجَاءً مُتَوَقَّعَ فِي النَّجَاحِ، فَحَوَّلُوا مِنْ
ذَاتِ المشروعِ إِلَى مَشَارِيعَ أُخْرَى، وَوَصَلُوا فِي النِّهَايَةِ إِلَى
مَا تَتَمَنَّاهُ أَنْفُسُهُمْ رَاضِينَ مُطْمَئِنِّينَ.

وَهَذَا كُلُّهُ - كَمَا قُلْتُ لَكَ - بَعْدَ بَذْلِ الْأَسْبَابِ، وَاتِّخَاذِ
كَافَّةِ الْحُلُولِ الْمَوَاتِيَةِ لِنَجَاحِ المشروعِ، وَعدمِ الْإِسْتِسْلَامِ
وَالرَّضُوخِ لِلْمُثَبِّطَاتِ الَّتِي تَحْصُلُ لِلإِنْسَانِ فِي مِثْلِ هَذَا
الطَّرِيقِ...

غَالِبُ الْمَشَارِيعِ الْعَظْمَى تَحْتَاجُ إِلَى تَضَحِيَّاتٍ جَسِيمَةٍ
جَدًّا، وَتَحْتَاجُ إِلَى رُكُوبِ الْأَهْوَالِ، وَمَغَامَرَةٍ فِي سَبِيلِ
الْوَصُولِ إِلَى آمَالٍ مَا بَنَاهُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ مِنْ مَشْرُوعَاتٍ،

والأمثلة في حياة الناجحين أكثر من أن تحصر في ذلك.

إنَّ استماتة الإنسان في مشروعه الذي بذل كافة الأسباب في تعيينه مهمة جداً، وتدُلُّ على متانة الإنسان وقدرته على الدفاع عن فكرته ومشروعه ومستقبله الذي بناه، لأنَّ بعض الناس مع كلِّ أسفٍ تركلَهُ أحاديثُ الناس في كلِّ اتجاهٍ، فتعبتُ بمشروعه، كما تفعلُ الرياحُ في كثيرٍ من الأشجار التي لا جذع لها يشدُّ فرعها ويثبت قوامها.

وفرقٌ كبيرٌ بينَ حبِّ المشروع، والاستمتاعِ به، واللذة في لحظاته، وتركه خوفَ الفشل، وبينَ العملِ في المشروع دونَ رغبةٍ أو استمتاعٍ أو لذةٍ، وإنما يُكرهُ نفسه ويدفعُ بها إلى لحظاتٍ لا يجدُ فيها إلا الشقاء والتعبَ والمعاناة، ولا يعرفُ فيها من معنى الحبِّ واللذة شيئاً.

وهذه قضايا دقيقةٌ بينَ الإنسان وبينَ مشروعه ينبغي أن تكونَ محلَّ عنايةٍ لدى كلِّ إنسانٍ.



كيف ينجح مشروعك؟

١

لقد تعرّفتَ خلال الوقت الذي قضيتَه في قراءة هذا الكتابِ على مشروعك، ونباركُ لك أفرحك هذه اللحظاتِ بأنَّ وجدتَ حلمك وحقيقتك وأملك الذي تبحثُ عنه من زمنٍ، ونقولُ لك: إنَّ هذه اللحظاتِ في حياتك من أثمنِ لحظاتك كإنسانٍ، وأجملِ دقائقِ عمرك، ولم لا تكونُ كذلك وقد لقيتَ نسبك في الأمة، ووجدتَ ضالتك في التاريخ.

وبما أنَّك وصلتَ إلى هذه الحقيقة، وتعرّفتَ على مشروعك العمريِّ في الحياة، وعرفتَ من أين تبدأ؟ ومتى؟ وكيف؟ فلم يبقَ عليك إلا أن تتعرّفَ وبجلاءٍ على إجابة هذا السؤال الكبير: كيف ينجح مشروعك؟.

إِنَّ أَيْ مَشْرُوعٍ فِي الْحَيَاةِ يَرِيدُ لَهُ صَاحِبُهُ إِشْرَاقًا فِي
الْفَضَاءِ، وَمَسَاحَةً عَرِيضَةً عَلَى الْأَرْضِ، وَقُوَّةً وَهَجًا فِي
الْحَيَاةِ لَا بَدَأَنَّ تَحْتَفُّ بِهِ أَسْبَابُ النَّجَاحِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى
النَّهَائِيَّاتِ الَّتِي يَنْتَظَرُهَا كُلُّ إِنْسَانٍ.

وَالْأَسْبَابُ فِي نَجَاحِ هَذِهِ الْمَشَارِيعِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ
كَثِيرَةٌ نَأْتِي عَلَى بَعْضِهَا فِي هَذِهِ الْمَسَاحَةِ، مِنْ أَهْمِّهَا
وَأَعْظَمِهَا وَأَكْثَرِهَا أَثَرًا فِي نَجَاحِ الْمَشْرُوعِ، وَيَأْتِي عَلَى
قَائِمَةِ الْأَسْبَابِ:

أولاً: تَصْحِيحُ النِّيَّةِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الطُّرُقِ الَّتِي تَسْلُكُ بِالْإِنْسَانِ إِلَى أَفْرَاجِهِ
وَنَهَايَةِ مَشْرُوعِهِ وَتَحْقِيقِ غَايَتِهِ هِيَ صِلَاحُ النِّيَّةِ.

وَقَدْ قَالَ ﷺ فِي بَيَانِ أَثَرِ النِّيَّةِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ
وَمَشَارِعِهِ فِي الْحَيَاةِ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ
أَمْرٍ مَا نَوَى»^(١).

فَمَنْ صَلَحَتْ لَهُ نِيَّتُهُ صَلَحَ لَهُ مَشْرُوعُهُ فِي الْحَيَاةِ،
وَمَنْ سَاءَتْ نِيَّتُهُ ضَاعَ كُلُّ عَمَلِهِ، وَلَمْ يَرَبِّحْ مِنْ حَيَاتِهِ

(١) رواه البخاري: (١)؛ ومسلم: (١٩٠٧).

شيئاً، وعلى صاحب كل مشروع أن يدرك أثر النية في نجاحه وبناء مستقبله، وتحقيق غايته، وحين تصلح هذه النية يسهل عناق الإنسان لمشروعه الذي بناه لنفسه من جهة، ويكون هذا المشروع موصولاً بالدار الآخرة من جهة أخرى، وحين يجتمع لإنسان هذه الفضائل فلا تسَلَّ عن عظم أرباحه في الدارين.

ثانياً: عيش المشروع؛

إنَّ صاحب المشروع إذا أراد له النَّجَاح الكبير لابدَّ أن يعيش المشروع في كل لحظة في حياته، أن يعيش مشروعه كأنَّه يتنفسُ الهواء، أو يجدُ طعمَ الماء في لحظة عطشٍ، أو يشعرُ بروعةِ الطَّعامِ في لحظاتِ الجوع.

إنَّ النَّجَاحَ في المشروع موقوفٌ على خفقانِ القلبِ للمشروع، وطربِ الأذنِ عند سماعِ ذكره، والشَّوقِ إلى لقائه، وهتافِ الرُّوحِ بأحاديثه وذكرياته، حتَّى يصيرَ المشروعُ في جسدِ صاحبه كالدمِّ الذي يجري في الوريدِ لا فرقَ.

إنَّ عيشَ المشروع هو أعظمُ الأسبابِ التي تملكُ

الإنسان زمامَ مشروعه، وتقوده في رحلته إلى المعالي،
وتركّب به الأهوال العظام وهو لا يراها شيئاً.

• ولا أدلّ على ذلك من موقف الفقيه المالكيّ
المحدّث الإمام محمد بن سحنون القيروانيّ،
فقد قال القاضي عياض في (ترتيب المدارك):
كانت لمحمد بن سحنون سرية يقال لها: أمّ مدام،
فكان عندها يوماً، وقد شغل في تأليف كتاب إلى
الليل، فحضر الطعام فاستأذنته ليأكل، فقال لها:
أنا مشغول الساعة.. فلما طال عليها جعلت تلقمها
الطعام حتّى أتت عليه، وتمادى على ما هو فيه إلى
أنّ أذن لصلاة الصبح، فقال: شغلنا عنك الليلة
يا أمّ مدام، هات ما عندك، فقالت: قد - والله
يا سيدي - ألقمته لك، فقال لها: ما شعرت بذلك..

• وهو ذات الحقيقة التي عبّر عنها الزمخشريّ في
بعض أبيات بقوله:

سَهْرِي لَتَنْقِيحِ الْعُلُومِ الَّذِي مِنْ وَضَلِ غَانِيَةٍ وَطَيْبِ عِنَاقِ
وَتَمَائِلِي طَرِباً لِحُلِّ عَوِيصَةٍ أَشْهَى وَأَخْلَى مِنْ مُدَامَةٍ سَاقِي

وَصَرِيرُ أَقْلَامِي عَلَى أَوْرَاقِهَا أَحْلَى مِنَ الدُّوْكَاهِ وَالْعُشَاقِ
وَالذُّمِّ مِنْ نَقْرِ الْفَتَاةِ لِذُفُهَا نَقْرِي لِأَلْقَى الرُّمْلَ عَنْ أَوْرَاقِي
يَا مَنْ يَحَاوُلُ بِالْأَمَانِي رُقُبَتِي كَمْ بَيْنَ مُسْتَقْبَلٍ وَآخِرَ رَاقِي
أَبْيْتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبَيْتُهُ نَوْمًا وَتَبَغْيِي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي

• وَقَدْ تَمَنَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنِ بَشِيرٍ الطَّائِلَانِي تِلْكَ الْأَمْنِيَّةَ
الَّتِي تَعْبُرُ عَنْ هَذِهِ اللَّحْظَاتِ فِي حَيَاةٍ مَشْرُوعَةٍ
بِقَوْلِهِ: أَرْجُو أَنْ يَأْتِيَنِي أَمْرِي وَالْمَحْبَرَةُ بَيْنَ يَدَيَّ وَلَمْ
يَفَارِقْنِي الْعِلْمُ وَالْمَحْبَرَةُ.

• وَتَحَدَّثَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى قَائِلًا:
وَلَقَدْ كُنْتُ فِي حِلَاوَةِ طَلْبِي لِلْعِلْمِ أَلْقَى مِنَ الشَّدَائِدِ
مَا هُوَ عِنْدِي أَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ لِأَجْلِ مَا كُنْتُ أَطْلُبُ
وَأَرْجُو.. كُنْتُ فِي زَمَنِ الصَّبَا آخِذٌ مَعِيَ أَرْغَفَةً
يَابِسَةً، فَأَخْرَجُ فِي طَلْبِ الْحَدِيثِ، وَأَقْعُدُ عَلَى نَهْرِ
عَيْسَى بِبَغْدَادَ، فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَكْلِهَا إِلَّا عِنْدَ الْمَاءِ،
فَكُلَّمَا أَكَلْتُ لَقْمَةً شَرِبْتُ عَلَيْهَا، وَعَيْنُ هِمَّتِي لَا تَرَى
إِلَّا لَذَّةَ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ.. وَكُنْتُ أَدُورُ عَلَى الْمَشَايخِ
لِسَمَاعِ الْحَدِيثِ، فَيَنْقَطِعُ نَفْسِي مِنَ الْعَدْوِ لِنَلَأٍ أَسْبَقُ،

وكنْتُ أَصْبَحُ وَلَيْسَ لِي مَأْكُلٌ! وَأَمْسِي وَلَيْسَ لِي مَأْكُلٌ!
ولو شرحتُ أحوالي لطالَ الشَّرْحُ.

• وقال البزارُ في وصفِ شيخِه شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ: وَكَانَ الْعِلْمُ كَأَنَّهُ قَدْ اخْتَلَطَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ وَسَائِرِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُسْتَعَارًا، بَلْ كَانَ لَهُ شِعَارًا وَدِثَارًا.

• وقالَ المِزْنِيُّ: قِيلَ لِلشَّافِعِيِّ: كَيْفَ شَهَوْتُكَ لِلْعِلْمِ؟

قالَ: أَسْمَعُ بِالْحَرْفِ مِمَّا لَمْ أَسْمَعُهُ، فَتَوَدُّ أَعْضَائِي أَنْ لَهَا أَسْمَاعًا تَتَنَعَّمُ بِهِ مِثْلَ مَا تَتَنَعَّمُ الْأَذْنَانِ!

قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ حَرَصُكَ عَلَيْهِ؟

قالَ: حَرَصُ الْجَمْعِ الْمُنَوَّعِ عَلَى بُلُوغِ لَذَّتِهِ فِي الْمَالِ!

قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ طَلِبُكَ لَهُ؟

قالَ: طَلِبُ الْمَرْأَةِ الْمُضِلَّةِ وَلَدَهَا وَلَيْسَ لَهَا غَيْرُهُ.

• وَخَيْرُ مَا يَعْبُرُ عَنْ هَذَا الشُّوقِ لِلْمَشْرِوعِ وَعَيْشِ

لِحَظَاتِهِ مَا قَالَهُ أَبُو الرِّيحَانِ الْبَيْرُونِيُّ حِينَ دُخِلَ

عَلَيْهِ وَهُوَ فِي آخِرِ لِحَظَاتِ حَيَاتِهِ، فَقَالَ لِلدَّاخِلِ:

كَيْفَ تَقُولُ فِي حَسَابِ الْجَدَّاتِ الْفَاسِدَاتِ؟

فقال له: حتّى في هذه اللحظات!١٩.

قال له: يا هذا أودّع الدنيا وأنا عالمٌ بهذه المسألة
خيرٌ لي من أن أرحل وأنا جاهلٌ بها.

• ومثل ذلك ما دونه سليمان الراجحي في رحلته مع
مشروعه، فقد كتب في سبيل تحقيقه أروع لحظات
المعاناة، وتحمل في سبيل ذلك ما لا يتصوره إلا
أصحاب المشاريع، كان مقدار وجبتة اليومية ريالاً،
ومع ذلك ظلّ يختصرها على نصف ريالٍ ويعيد
النصف الآخر لصاحب العمل رعايةً لحقه، وتدريباً
لنفسه على الأمانة، ورعايةً لحقوق الآخرين، ومرّت
به لحظات لا يفطر، ولا يتغدى، وإذا جاء وقت
العشاء وقّف عند الخباز طويلاً من أجل أن يقلّ
ثمن شراء الخبز، ولقي في سبيل مشروعه ما يلقاه
الكبار في سبيل بناء مجدهم، وعاش مرارة الجوع
والفقر والذلّة في مواقف كثيرة كان ثمارها هذا
التأريخ الذي بناه لنفسه ووطنه وأمتّه.

* * *

كيف ينجح مشروعك؟

٢

لا زلتُ أؤكدُ عليك أن نجاحك في مشروعك مرهونٌ
بالأسباب التي تبذلها في سبيل تحقيقه قدرًا وكيفيةً،
فكلما ارتفعت قيمة هذه الأسباب في ذهنك، وبذلت لها
من ثمين عمرك كلما اقتربت من النجاح، وقاربت بلوغ
الطريق، وهذه قضية لا تفوت على مثلك..

ثالثاً: حسن الصلة بالله تعالى:

وهو سبب مؤثر في عناق المشروع حقيقة على
الأرض، وواقعاً في الدنيا، وما رؤي أقوى من هذا السبب
أثراً، ولا أطف منه معنى، ولا أكثر من تأثيره في تحقيق
مشروع الإنسان في الحياة.

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنُ مَنْ اللَّهِ لِلْفَتَى

فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

إِنَّ مَنْ يَتَأَمَّلُ فِي سِيرَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ صَاحِبِ
أَضْخَمِ مَشْرُوعٍ فِي الْحَيَاةِ كُلِّهَا؛ يَجِدُ عَنَايَةَ اللَّهِ تَعَالَى
بِهِ فِي تَأْكِيدِهِ الدَّائِمِ لَهُ، وَتَوْفِيقِهِ لَهُ فِي تَحْقِيقِ هَذَا
السَّبَبِ فِي حَيَاتِهِ، كَمَا تَرَاهُ فِي سُورَةِ الْمَزْمَلِ فِي قَوْلِ
اللَّهِ تَعَالَى فِي مَطْلَعِ السُّورَةِ: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ * فِرَاقُ الْبَلِّ إِلَّا
قَلِيلًا * يَصْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتَلَ الْقُرْآنَ
رَتِيلًا﴾ [المزمل: ١ - ٤].

وَقَدْ مَضَتْ مِنْ حَيَاتِهِ لَيَالٍ وَهُوَ قَائِمٌ يَصَلِّي وَيَبْكِي،
وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمَرْجَلِ مِنَ الْبَكَاءِ، يَقِفُ فِي
الصَّلَاةِ طَوِيلًا حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ ﷺ، وَهَذَا كُلُّهُ
تَأْكِيدٌ لِأَهْمِيَةِ هَذِهِ الصَّلَاةِ وَعِنَاقِهَا وَالتَّشَبُّثِ بِهَا،
وَالِاسْتِمَاتَةِ فِيهَا، لِأَنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْوَانِ عَلَى تَحْقِيقِ
مَشْرُوعِ الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ.. وَلَوْلَاهَا لَمْ يَكُنِ لِلنَّبِيِّ ﷺ
مَا كَانَ.

وكَذَلِكَ هِيَ سِيرُ الْعِظَمَاءِ الْكِبَارِ فِي الدُّنْيَا ظَلَّتْ تَدْرِكُ

خطورة هذه القضية وأهميتها في حياتهم، فما زالوا يكتبون فيها أروع اللحظات التي كتبت بعد ذلك على مشاريعهم أرفع المعاني.

ولا أعرفُ عظيماً في تاريخ الإسلام إلا وله ميراثٌ من هذه الصلة تكبرُ في حياته بقدر كبر تاريخه، وتعظمُ بقدر عظمة همته، وهي الحياة الحقيقية في تاريخ أصحاب المشاريع، ولذتُّهم وراحتهم وطمانينتهم في طريق المعالي، ومن أدرك أسرارها رحل بها إلى عالم التفوق والتميز.

رابعاً: ومن الأسباب المؤثرة في بناء المشروع، التربية على المعالي:

إنَّ نجاح أي مشروع في الحياة يظلُّ مرهوناً بقدره الإنسان على تربية نفسه على المعالي، والنهوض بهذه النفس إلى مطامحها الحقيقية في الدنيا، وكلُّ من أراد أن يكتب لمشروعه حيّزاً في الأرض، فعليه أن يُعنى بتربية نفسه وتدريبها على كل ما يمكن أن يزجَّ بها إلى عالم المعالي.

إِنَّ رَحْلَةَ الْمَشْرُوعِ فِي حَيَاةِ إِنْسَانٍ تَتَطَلَّبُ رَحْلَةً مُضْنِيَّةً
فِي تَأْهِيلِ ذَاتِ الْإِنْسَانِ، وَتَرْبِيَّتِهَا عَلَى الْقِيَمِ وَالْمَثَلِ
وَالْمَعَانِي الْعَظْمَى فِي حَيَاتِهِ، حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا
عَلَى إِدَارَةِ مَشْرُوعِهِ بِقُوَّةٍ.

إِنَّ الْنُفُوسَ تَكُلُّ وَتَمَلُّ وَتَتْعَبُ، وَتَضْجُرُ مِنْ طَوْلِ
الطَّرِيقِ، وَمَا لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْنُفُوسُ قَادِرَةً عَلَى فَرْضِ قُوَّةٍ
تَأْهِيلِيَّةٍ عَلَى ذَوَاتِهَا؛ فَإِنَّهَا قَدْ تَقَعَّدُ قَبْلَ نَهَايَةِ الطَّرِيقِ،
وَتَنَامُ وَهِيَ عَلَى مَرَأَى مِنَ النَّجَاحِ، وَتَقْفُ عَاجِزَةً عَنِ
الِاسْتِمْرَارِ حَتَّى لَوْ كَانَتِ النِّهَايَةُ أَقْرَبَ مَا تَكُونُ.

**خَامِسًا: وَمِنْ الْأَسْبَابِ كَذَلِكَ: الْقِرَاءَةُ فِي سِيرِ
النَّاجِحِينَ؛**

إِنَّ مِنَ الْمَهْمِّ أَنْ نَكُونَ قَادِرِينَ عَلَى إِلْهَابِ نَفُوسِنَا
بِالْحِمَاسِ، وَاشْبَاعِهَا بِالتَّشْجِيعِ، وَدَفْعِهَا لِلْمَقْدَمَةِ بِأَخْبَارِ
الْكِبَارِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْقِرَاءَةِ؛ فَإِنَّهَا مِنَ الرُّوَافِدِ لِكُلِّ
نَجَاحٍ، وَأَيًّا كَانَ مَشْرُوعُ الْإِنْسَانِ فَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْقِرَاءَةِ
حَتَّى يَقْوَى وَيَثْمَرَ وَيَزْدَهَرُ عَوْدُهُ عَلَى الْأَرْضِ.

وَتَظَلُّ نَفُوسُنَا كَذَلِكَ بِحَاجَةٍ إِلَى سَمَاعِ أَخْبَارِ الْكِبَارِ،

والتلذُّذِ بِرَحْلَتِهِمْ، وَالشُّوقِ إِلَى صَنَائِعِهِمْ فِي الْأَرْضِ،
وَعَلَى صَاحِبِ الْمَشْرُوعِ أَنْ يُعْنَى بِسَمَاعِ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ
أَنْ يَرْفَعَ هِمَّتَهُ، وَيُدْفِعَ بِقُوَّتِهِ، وَيُلْهَبَ حِمَاسَهُ حَتَّى يَضْمَنَ
شُعُورَ النَّفْسِ بِالتَّحَدِّيِّ، وَعَدَمَ ضُمُورِهَا مِنْ عَقَبَاتِ الْوَاقِعِ.

سادساً: وَمِنْ الْأَسْبَابِ كَذَلِكَ: حُضُورُ الدَّوَرَاتِ التَّدْرِيبِيَّةِ:

تَظَلُّ حَاجَتُنَا إِلَى تَفْعِيلِ نَفُوسِنَا عَظِيمَةً، وَكَبِيرَةً، وَعَلَى
صَاحِبِ الْمَشْرُوعِ أَنْ يُعْنَى بِحُضُورِ الدَّوَرَاتِ الَّتِي مِنْ
شَأْنِهَا الْارْتِقَاءُ بِمَشْرُوعِهِ.

وَكُلُّ صَاحِبِ مَشْرُوعٍ حَرَصَ عَلَى اخْتِيَارِ الْمُنَاسِبِ مِنْ
هَذِهِ الدَّوَرَاتِ، وَشَارَكَ فِيهَا بِفَاعِلِيَّةٍ، وَتَابَعَ أَثَارَهَا عَلَى
حَيَاتِهِ بِالْعَمَلِ، سَاهَمَتْ بِشَكْلِ كَبِيرٍ فِي الْارْتِقَاءِ بِمَسْتَوِيَاتِهِ
الْفِكْرِيَّةِ، وَالنَّفْسِيَّةِ، وَحَلَّقَتْ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ لِلْمَعَالِي،
وَكَتَبَتْ قِصَّةَ حَيَاتِهِ كِإِنْسَانٍ، وَلَيْسَ مِنْ عَاشٍ وَجَرَّبَ كَمَنْ
سَمِعَ.

وَهِيَ كَذَلِكَ تُكْسِبُهُ مَهَارَاتٍ مَهْمَّةً فِي إِدَارَةِ حَيَاتِهِ
بَشَكْلِ كَبِيرٍ قَدْ تَسَهَّمُ بِهَا فِي تَحْقِيقِ أَمَانِيهِ الْعَظَامِ.

وعلى صاحب المشروع كذلك أن يدرك أهمية اللقاء بالناجحين، وأثرها في ضخ روح المنافسة في نفسه ومشاعره، وعليه أن يخطّط للقاء هذه الشخصيات، والتحدّث معهم، وأن يستعرض معهم تجربتهم في الحياة؛ فإنّ ذلك من أعون الأسباب على الوصول بعد توفيق الله تعالى.

سابعاً: ومن الأسباب كذلك: استثمار الوقت:

إنّ أعظم الموارد في حياة إنسان وقته وزمانه، ولن يجد صاحب المشروع مورداً لنماء مشروعه وقوته مثل الوقت.

وعلى صاحب المشروع أن يدرك هذه القضية تماماً، وإن وعاهها بصدق زان مشروعه وتهيأ لعناق النهايات.

وصاحب المشروع إن أراد لمشروعه قوّة وأثراً، وأحبّ أن يعيش نهاياته كأوضح ما يكون؛ فعليه أن يرتّب وقته، ويحدّد أولوياته، ويبدأ رحلة المشروع وهو يدرك كم الوقت الذي يحتاجه لنجاح مشروعه؟ وما الزمن المستغرق لرحلة المشروع كلّ يوم؟ وحين يعرف ذلك

يحدّد أولوياته ويبدأ رحلته وهو يعرف تماماً ماذا عليه أن يفعل؟ وما الوقت الممنوح لإدارة هذا المشروع؟.

إنّ صاحب المشروع لن يبلغ هدفه، ويصل لنهاية مشروعه ما لم يكن أشعّ بوقته من سُحّ البخيل بماله، وستظلُّ حياة صاحب المشروع مرهونة باستثماره لوقته، والعناية به، ومحاولة بناء أوقات من الأوقات الضائعة والمهدرة في حياة كثير من الناس.

* * *

كيف ينجح

مشروعك؟

٣

من الأسباب المهمة لبلوغ المشروع، والوصول إلى
نهایاته، والتلذذ به، وعناقه في قادم الأيام:

ثامناً: الصبر على طول الطريق:

إن كل صاحب مشروع يدرك أن هناك مسافة طويلة
جداً قبل الاحتفاء بمشروعه في نهاياته، ومن لم يدرك
بعد الشقة ومسافة الطريق فليعد النظر من جديد، فإنه
لا سبيل للوصول إلى غايات الإنسان ولحظات نهاياته إلا
بعد عرق ينزف على الأرض برهاناً على مشقة الطريق
ولأوائه في الحياة.

ولذلك كَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَتَحَلَّى الْإِنْسَانُ بِصِفَةِ الصَّبْرِ، وَأَنْ يَلْبَسَهَا لِبَاسَ طَوِيلِ السَّفَرِ وَبَعِيدِ الشُّقَّةِ، وَأَنْ يَعْلَمَ يَقِينًا أَنَّهُ لَا وَصُولَ لَهُ إِلَى غَايَاتِهِ إِلَّا بَعْدَ مُعَانَاةٍ هَذِهِ الْمَشَاقِّ، وَمُكَابَدَةِ هَذِهِ الْمَعَانِي.

إِنَّ الْمَشْرُوعَ قَدْ يَسْتَفِرِّقُ مِنْ إِنْسَانٍ عَشْرِينَ عَامًا ثُمَّ يَعَانِقُ نَهَايَاتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَدْ يَسْتَفِرِّقُ مِنْ إِنْسَانٍ آخَرَ خَمْسِينَ عَامًا وَيَرَى ثَمَرَتَهُ قَدْ أُيْنِعَتْ، وَقَدْ يَسْتَفِرِّقُ مِنْ إِنْسَانٍ عَمَرَهُ كُلَّهُ، وَيَرْحَلُ مِنَ الْأَرْضِ وَهُوَ يَتَنَفَّسُ مَشْرُوعَهُ وَلَا يَزَالُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْجَهْدِ وَالْبَذْلِ.

وَلَيْسَ أَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَشَارِيعِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى وَسَلَامُهُ أَجْمَعِينَ؛ فَقَدْ عَاشَ نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا وَهُوَ يَجْهَدُ بَغْيَةَ الْوَصُولِ إِلَى النَّهَايَاتِ الَّتِي يَتَمَنَّاها كُلُّ إِنْسَانٍ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا إِلَى الْقَلِيلِ، وَمِثْلُهُ أَوَّلُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، حَتَّى قَالَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَيَأْتِي النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرُّجُلَانِ، وَيَأْتِي النَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»^(١).

وَقَدْ تَكُونُ مَدَّةُ انْقِضَاءِ الْمَشْرُوعِ، وَعِنَاقِ نَهَايَتِهِ أَقْصَرَ

(١) رواه البخاري: (٥٧٠٥)؛ ومسلم: (٢٢٠).

من ذلك بكثير، وليس مُهمّاً عند أصحابِ المشاريعِ متى ينتهونَ من مشاريعهم؟ المهمُّ أن تكونَ نياتُهم خالصةً لله تعالى، ويبدلونَ لها كافةَ الأسبابِ المواتيةَ لنجاحِها، ويتشوّفونَ إلى لحظاتِ نهايتها، ويركضونَ إليها ركضَ الجادِّ في تحقيقِ أمانيه، والنّهائاتُ تأتي بعد ذلك فرحةً أنّها تعانقُ أصحابها الكبار.

تاسعاً؛ ومن أعظمِ الأسبابِ كذلك: الثّقةُ بالله تعالى؛

والتّوكّلُ عليه، والتّوجّهُ إليه بقلبك وروحك وأنفاسك كلّها، والتّطلّعُ إلى توفيقهِ وسدادهِ؛ فإنّها من أعظمِ السُّبُلِ والوسائلِ إلى تحقيقِ مشروعِ الإنسانِ في الحياة.

عاشراً؛ ومن الأسبابِ كذلك: الدُّعاء؛

فإنّه بابٌ فَرَجَ، ومفتاحُ أَمَلٍ، ودليلُ صدقِ الطالبِ في تحقيقِ مطلوبهِ من الله تعالى.. ومن أدمَنَ الدُّعاء، وألحَّ على الله تعالى، ورفعَ يَدَيْهِ، وقلبه مضطربٌ إلى الله تعالى؛ فتَحَّ الله تعالى عليه، ووفّقَهُ، وأصابَ ما أرادَ من الخيرِ.

الحادي عشر: ومن الأسباب المهمة كذلك: التدرُّج
في بناء المشروع:

فلا يمكن أن يصل الإنسان بمشروعه إلى اللحظات
التي ينتظرها لنهايتها ما لم يتدرَّج في بناء مشروعه،
ويقسمه على مراحل، ويبدأ فيه خطوة بخطوة.

فإن مثل هذا التدرُّج والتقسيم للمشروع يمكن صاحب
المشروع من الشعور بلذة النجاح عند نهاية كل مرحلة،
ويجعله يتجدد نشاطاً لبدء المرحلة الثانية، وبلوغ نهايتها
القريبة.

بخلاف ما لو بدأ في المشروع حُرمة واحدة، فإنه
قد يذبل في منتصف الطريق، وتطول عليه أفراح
النهايات من جهة، وقد لا يفلح في ترتيب المشروع،
ومعرفة ما يقدم منه ويبدأ به، وما يؤخر فيه.. وهذا
أحد الأسباب التي ينبغي أن يدرك آثارها صاحب
المشروع، فيبدأ في تصوُّر مشروعه أولاً، ويقسمه على
مراحل ثانياً، ويحدد لكل مرحلة زمناً معيناً لا يتجاوز
زمناً ثالثاً.

الثاني عشر: من الأسباب الخاتمة والمؤثرة في تحقيق المشروع: الاحتفاء بالمشروع:

فعلى صاحب المشروع أن يعلم أنه في زمنٍ ضَعُفَتْ فيه همُّ النَّاسِ، وزادَ انشغالُهُم بِهَمُومِهِم عن بناءِ مستقبلِهِم، إضافةً إلى حالةِ الإحباطِ التي تَلَفُ حياةَ النَّاسِ، وتكتب عليهم التَّواني والكسلَ والعجزَ.

فإذا أُضيفَ إلى ذلك قَلَّةُ المشجِّعينِ لخوضِ مثلِ هذه التَّجاربِ الكبرى في حياةِ الإنسانِ، كانَ لزاماً على صاحبِ المشروع أن يحتفِيَ بنهايةِ كُلِّ مرحلةٍ مِنَ المشروع، وأن يشجِّعَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وليعلمَ أنَّ النَّاجِحِينَ مضطرونَّ في بدايةِ رحلةِ مشاريعِهِم أن يُصَفِّقُوا لأنفسِهِم حتَّى تأتي اللَّحظاتُ التي تصفِّقُ لهم فيها الجماهيرُ.



وفي الختام

إنَّ ما تَقْرؤُهُ عبْرَ هذهِ الأسطُرِ في كتابي (مشروع العمر) هو ما يمثِّلُ قناعتِي الشَّخصِيَّةَ أنَّ الأُمَّةَ بأفرادِها، وحينَ يَنجُحُ فردٌ من أفرادِها في العُثورِ على مشروعِهِ في هذهِ الحَيَاةِ؛ فكأنَّما عثرتُ أنا على مشروعِي في الحَيَاةِ..

ولعلَّكَ تلمسُ في حَبْرِي الَّذِي فاضَ بهذهِ الأسطُرِ رُوحِي الَّتِي تتلظى بينَ جنبَيِّ رَغْبَةٍ في إحياءِ مشروعِ الأُمَّةِ من جَدِيدٍ، والرَّحْلةَ بها إلى مَكانَتِها اللَّائِقَةِ بها، وأزعمُ أنَّني بذلكَ بعضُ هذهِ الأُمَّةِ فَحَسَبَ.



المراجع

- ١ - صفحات من صبر العلماء، عبد الفتاح أبو غدة.
- ٢ - العلم وبناء الأمم، د. راغب السرجاني.
- ٣ - رتب حياتك، د. طارق السويدان.
- ٤ - صلاح الأمة في علو الهمة، للعفاني.
- ٥ - سير أعلام النبلاء، للذهبي.

* * *

الفهرس

● إضاءة	٥
● المقدمة	٧
١ - لحظة البداية	١١
٢ - المشروع والنجاح	١٧
٣ - المشروع والأحلام	٢١
٤ - المشروع والقيمة	٢٧
٥ - المشروع والتاريخ	٣١
٦ - لماذا المشاريع؟	٣٧
٧ - ما هو المشروع؟	٤١
٨ - ما الفرق بين العمل والمشروع؟	٤٥
٩ - هل يمكن أن يحوّل الإنسان ميوله إلى مشروع ما؟	٤٩
١٠ - أصحاب المشاريع	٥٣
- الرسل ﷺ: مشروع الدعوة إلى الله تعالى	٥٤

- أبي بن كعب رضي الله عنه:
- مشروع حفظ وضبط كتاب الله تعالى ٥٤
- الأمة السوداء:
- مشروع العناية بتنظيف مسجد رسول الله ﷺ ٥٥
- عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
- مشروع تعلم سورة البقرة وفقه معانيها وتدبر آياتها ٥٦
- حسان بن ثابت رضي الله عنه: مشروع الشعر ٥٦
- خالد بن الوليد رضي الله عنه: مشروع الجهاد في سبيل الله ٥٧
- عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه: مشروع العلم ٥٨
- أبو هريرة رضي الله عنه: مشروع حفظ حديث النبي ﷺ ٥٨
- عبد الله بن عمر رضي الله عنه:
- مشروع تعلم سورة البقرة وفقه معانيها وتدبر آياتها ٥٩
- البخاري رحمته الله: مشروع حفظ حديث رسول الله ﷺ ٦٠
- الحافظ ابن حجر رحمته الله:
- مشروع فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦٢
- ابن قدامة رحمته الله:
- مشروع العلم الشرعي، وفقه منه خاصة ٦٢
- ابن خلدون رحمته الله: مشروع العبر وديوان المبتدأ والخبر ٦٣
- جابر بن حيان رحمته الله: مشروع علم الكيمياء ٦٣
- الخوارزمي رحمته الله: مشروع علم الجبر ٦٤
- نماذج أخرى: الرازي، ابن النفيس،
- مالك بن نبي، أبو الأعلى المودودي ٦٤
- سليمان الراجحي: مشروع مالي ٦٤

- عبدالرحمن الجريسي: مشروع مالي ٦٥
- عبدالرحمن السميط: مشروع دعوي ٦٦
- الألباني رَحِمَهُ اللهُ: مشروع تحقيق حديث النبي ﷺ ٦٧
- مشروع قنوات المجد الفضائية ٦٧
- محمد يوسف سيدي:
- مشروع تعليم كتاب الله تعالى أبناء المسلمين ٦٧
- محمد توفيق:
- مشروع دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ٦٩
- ١١ - صَفَحَاتُ فِي عَالَمِ الْمَشَارِيعِ ٧١
- مشروع إغاثة الفقراء ٧١
- مشروع الإصلاح بين الناس ٧٢
- مشروع الطبيب النافع ٧٣
- مشروع المهندس الجاد ٧٤
- مشروع التعليم ٧٤
- مشروع التربية لأبناء المسلمين ٧٤
- مشروع دعوة الجاليات ٧٥
- مشروع القيام على حفظ كتاب الله وفهمه وتدبره ٧٥
- مشروع الإعلام ٧٦
- مشروع ترجمة الكتب والمقالات والعلم ٧٦
- مشروع بناء الأسرة المسلمة ٧٦
- ١٢ - مواصفات المشروع ٧٩
- الصفة الأولى: أن يصل بين الدنيا والآخرة ٧٩
- الصفة الثانية: أن يكون متوافقاً مع قدراتك وإمكاناتك ٨١

- الصفة الثالثة: أن تكون محباً لمشروعك ٨٢
- الصفة الرابعة: أن يكون ممكناً في أرض الواقع ٨٣
- ١٣ - هل يمكن أن يكون للإنسان أكثر من مشروع في حياته؟ ٨٥
- أن تكون القدرات قابلة لذلك ٨٦
- أن لا يؤثر كل مشروع على الآخر ٨٧
- عبدالله بن المبارك ٨٧
- ابن تيمية ٨٨
- ابن باز ٨٩
- ١٤ - كيف تتعرفُ على مشروعك؟ (١) ٩١
- أولاً: أن يكون المشروع واضحاً لا لبس فيه ٩٢
- ثانياً: أن تستولي فكرته على فكرك وعقلك ٩٣
- ثالثاً: أن تبذل له جميع أوقاتك ٩٥
- ١٥ - كيف تتعرفُ على مشروعك؟ (٢) ٩٧
- ١٦ - كيف تتعرفُ على مشروعك؟ (٣) ١٠٥
- ١٧ - كيف تبدأ مشروعك؟ ١٠٩
- أولاً: تحديد رؤيتك ١١٠
- ثانياً: حدد وضعك الحالي في مشروعك ١١٢
- ثالثاً: ارسم أهدافك بدقة ١١٣
- رابعاً: اكتب خطتك ١١٤
- ١ - كتابة الهدف العام ١١٥

- ٢ - تحديد الأهداف المرحلية ١١٥
- ٣ - تحديد الأهداف الإجرائية ١١٥
- ٤ - وضع الأهداف الإجرائية في برنامج زمني ١١٦
- ٥ - وضع خطط بديلة ١١٧
- ٦ - التنفيذ ١١٨
- ٧ - المتابعة والتقييم ١١٨
- ١٨ - المشاريع الفردية والمشاريع الجماعية ١٢١
- ١٩ - تغيير المشروع ١٢٥
- ٢٠ - كيف ينجح مشروعك؟ (١) ١٢٩
- أولاً: تصحيح النية ١٣٠
- ثانياً: عيش المشروع ١٣١
- محمد بن سحنون القيرواني ١٣٢
- الزمخشري ١٣٢
- عبد الله بن بشر الطالقاني ١٣٣
- ابن الجوزي ١٣٣
- ابن تيمية ١٣٤
- الشافعي ١٣٤
- أبو الرِّيحان البيروني ١٣٤
- سليمان الراجحي ١٣٥
- ٢١ - كيف ينجح مشروعك؟ (٢) ١٣٧
- ثالثاً: حسن الصلة بالله تعالى ١٣٧

١٣٩.....	رابعاً: التربية على المعالي
١٤٠.....	خامساً: القراءة في سير الناجحين
١٤١.....	سادساً: حضور الدورات التدريبية
١٤٢.....	سابعاً: استثمار الوقت
١٤٥.....	٢٢ - كيف ينجح مشروعك؟ (٣)
١٤٥.....	ثامناً: الصبر على طول الطريق
١٤٧.....	تاسعاً: الثقة بالله تعالى
١٤٧.....	عاشراً: الدعاء
١٤٨.....	الحادي عشر: التدرج في بناء المشروع
١٤٩.....	الثاني عشر: الاحتفاء بالمشروع
١٥١.....	● وفي الختام
١٥٣.....	● المراجع
١٥٥.....	● الفهرس

لتحميل أنواع الكتب راجع: (مُنْتَدَى إِقْرَأَ الثَّقَافِي)

پراي داتلود کتابهای مختلف مراجعه: (مُنْتَدَى اقرا الثقافی)

بۆدابهزاندنی جوهرها کتیب:سەردانی: (مُنْتَدَى إِقْرَأَ الثَّقَافِي)

www.iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

للکتاب (کوردی , عربی , فارسی)

إن صناعة التاريخ فن تملكه الأرواح وليس للأجساد من ذلك شيء..
والأرض أفسح ميدان يترك فيه الإنسان أثر خطوه ورحلته...
وسنن الله تعالى في الكون تأبى أن تفتح الأبواب إلا للطارقين عليها بقوة.
ولو لم أجد روعي في هذا الكتاب لبللت حبره وشربت ماءه من جديد
راجياً تلك الحياة.
لولا أنه قام في قلبي (مشروع العمر)
قبل أن أكتب حرفاً واحداً في هذا الكتاب.
يلقاني في كل طريق..
ويحدوني في كل لقاء..
ويقيمني وأنا في أحلى لحظات النوم.
وأجزم أنك ستلقى روعي في كل حرف تقرؤه.

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١